أسّسها أ. لويس خليفة (†)
سنة ١٩٩٠

رئيس التحرير
أ. أيّوب شهوان

اسرة التحرير
الأرشمندريت نيقولا أنتيبا
الأباتي بولس تنّوري
أ. أسعد جوهر
أ. موسى الحاج
السيّدة ماري عطاالله خليفة
أ. جورج خوام
الأخت باسمة خوري
أ. نعمة الله الخوري
أ. لويس خوند
الأخت ماري-لويز شهوان
د. منى عبيد
أ. جان عزام
أ. انطوان عوكر
أ. يوسف فخري
أ. بولس الفغالي
أ. انطوان مخائيل
المطران بطرس مراياتي
أ. ريمون الهاشم

في هذا العدد

الافتتاحيّة: الكنيسة الأرمنيّة بيبليّة حتّى الدم! ـــــ رئيس التحرير ٢
١٧٠٠ سنة لاعتماد الشعب الأرمني ـــــ قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني .. ٣
أرمينيا في الكتاب المقدّس ـــــ المطران بطرس مراياتي ٩
البيبليا في الكنيسة الأرمنيّة ـــــ الخوري بولس الفغالي ١٥
ترجمة ١٨٥٣ للكتاب المقدّس والكنيسة الأرمنيّة الإنجيليّة ـــ القس د. پول هايدوستيان .. ١٩
غريغوريوس دي ناريك، قدّيس مشبع من البيبليا ـــــ أ. ساحاق كشيشيان ٢٣
الكتاب المقدّس؛ حياة الشعب الأرمني ـــــ المطران بطرس مراياتي ٢٧
البيبليا والمنمنمات الأرمنيّة ـــــ أ. عبدو بدوي ٣١
كتاب القراءات في الكنيسة الأرمنيّة ـــــ أ. نجم شهوان ٣٥
البيت غازو الماروني ـــــ أ. نجم شهوان ٤٣
المنحولات الأرمنيّة ـــــ الخوري بولس الفغالي ٤٥
رسالة بولس الثالثة إلى القورنثيّين؛ منحول في الأرمنيّة ـــــ أ. أيّوب شهوان ٥١

ثمن العدد
في لبنان : ٥٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٨٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنوي (٤ أعداد)
في لبنان : ٢٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٣٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

العنوان
كليّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص.ب.: ٤٤٦ جونيه – لبنان
فاكس: ٠٩/٦٤٢٣٣٣
هاتف: ٠٩/٦٤٠٦٦٤ المقسّم ١١٥

الافتتاحيّة

الكنيسة الأرمنيّة ببيبليّة حتى الدم!

أ. أيوب شهوان

عندما نذكر الكنيسة أو الأمّة الأرمنية، تحضر فوراً إلى البال، وبطريقة عفوية، آلامُ هذا الشعب العظيم الناتجةُ عن تعرّضه للاضطهاد الشديد، والسبب كان دوماً الأمانةَ للمسيح، التي مَن اعتنقها مبدأً قَبِلَ بذات الفعل كمعلمه أن «يُساق كل يوم كشاة إلى الذبح دون أن يفتح فاه!» لا عجب في أن تكون الكنيسة أو الأمّة الأرمنية على هذا المستوى من الإيمان والثبات والحب، لأنها والكتاب المقدس في حلْفٍ راسخ تواصل على كرّ الأجيال والعصور.

في الحقيقة، تحتل البيبليا مركز الصدارة في حياة الشعب الأرمني المؤمن، الأمر الذي أتاح له، ولحضارته، وثقافته، ولاهوته، وفنّه، أن يَنمُوا ويتكدّسوا كنوزاً عظيمةً، من جهة، وأن يتخطّى آباءُ، وأبناءُ، وأمهات، وبناتُ هذه الأمّة النبيلة العذاباتِ والاضطهاداتِ ليتمسّكوا ، في مختلف الحقبات، بإرادة الحياة الحرة والكريمة، من جهة ثانية.

في كل هذا لعبت البيبليا دوراً حاسماً في حياة الشعب الأرمني، إذ مدّت الأجيالَ المتعاقبةَ بنماذج نبوية ورسولية مدويّة، وبصورة البقية الباقية التي لا تجثو إلاّ لله، وبقصص قوافل الشهود والشهداء الذين أحبّوا إلى الغاية؛ لكن وجه «عبد الله المتألّم» فَعَلَ فعلَه العميق في النفوس الوفيّة، خاصة عندما توضّحت الصورة في شخص المسيح يسوع الذي جذب إليه الذين أحبّوه كما سبق وأحبّهم هو أولاً.

لم تغب البيبليا عن الفن الأرمني في مختلف مراحله وتطوراته، إذ استوحى الفنانون الأرمن العهد الجديد بنوع خاص، لا بل قُلْ إنهم قرأوا البيبليا بالرسم والصورة، وجعلوا من فنّهم مدرسةَ إيمان، تجلّت ثماراً مرضيّةً للرب تلذ لقلبه القدوس.

كذلك هو الأمر بالنسبة إلى الموسيقيين الذين اختاروا من البيبليا أجمل النصوص، فحوّلوها إلى أناشيد رتّلتها الأجيال المتتالية، وحفظت هكذا عن ظهر قلب نصوصاً بيبلية عديدة ومتنوعة.

وماذا نقول في التراث الآبائي الأرمني البيبلي؟ لقد ترجم الأرمن تفاسير آبائية من الكنائس الأخرى، السريانية واليونانية وغيرهما، ووضع آباء عديدون من الكنيسة الأرمنية تفاسير للبيبليا من نتاجهم المحلي.

ومن الضروري أيضاً التذكير بأن الألفباء الأرمنية بالذات قد وُضعت في القرن الخامس خصيصاً لتكون هناك ترجمة مكتوبة للبيبليا في الأرمنية.

إن العدد الكبير من المخطوطات البيبلية والتفسيرية الأرمنية لكلمة الله، لَيشهد على القدر الكبير الذي أعطته الكنيسة الأرمنية لهذه الكلمة.

مما تقدم، يمكننا أن نؤكد أن التراث البيبلي الأرمني، الذي تواصل وبدون انقطاع في الإيمان والثقافة الأرمنيَين، جعل من الشعب الأرمني، إذا جاز التعبير، شعباً بيبلياً مميزاً.

الافتتاحيّة

الكنيسة الأرمنيّة بيبليّة حتى الدم!

أ. أيوب شهوان

عندما نذكر الكنيسة أو الأمّة الأرمنية، تحضر فوراً إلى البال، وبطريقة عفوية، آلامُ هذا الشعب العظيم الناتجةُ عن تعرّضه للاضطهاد الشديد، والسبب كان دوماً الأمانةَ للمسيح، التي مَن اعتنقها مبدأً قَبِلَ بذات الفعل كمعلمه أن «يُساق كل يوم كشاة إلى الذبح دون أن يفتح فاه!» لا عجب في أن تكون الكنيسة أو الأمّة الأرمنية على هذا المستوى من الإيمان والثبات والحب، لأنها والكتاب المقدس في حلْفٍ راسخ تواصل على كرّ الأجيال والعصور.

في الحقيقة، تحتل البيبليا مركز الصدارة في حياة الشعب الأرمني المؤمن، الأمر الذي أتاح له، ولحضارته، وثقافته، ولاهوته، وفنّه، أن يَنمُوا ويتكدّسوا كنوزاً عظيمةً، من جهة، وأن يتخطّى آباءُ، وأبناءُ، وأمهات، وبناتُ هذه الأمّة النبيلة العذاباتِ والاضطهاداتِ ليتمسّكوا ، في مختلف الحقبات، بإرادة الحياة الحرة والكريمة، من جهة ثانية.

في كل هذا لعبت البيبليا دوراً حاسماً في حياة الشعب الأرمني، إذ مدّت الأجيالَ المتعاقبةَ بنماذج نبوية ورسولية مدويّة، وبصورة البقية الباقية التي لا تجثو إلاّ لله، وبقصص قوافل الشهود والشهداء الذين أحبّوا إلى الغاية؛ لكن وجه «عبد الله المتألّم» فَعَلَ فعلَه العميق في النفوس الوفيّة، خاصة عندما توضّحت الصورة في شخص المسيح يسوع الذي جذب إليه الذين أحبّوه كما سبق وأحبّهم هو أولاً.

لم تغب البيبليا عن الفن الأرمني في مختلف مراحله وتطوراته، إذ استوحى الفنانون الأرمن العهد الجديد بنوع خاص، لا بل قُلْ إنهم قرأوا البيبليا بالرسم والصورة، وجعلوا من فنّهم مدرسةَ إيمان، تجلّت ثماراً مرضيّةً للرب تلذ لقلبه القدوس.

كذلك هو الأمر بالنسبة إلى الموسيقيين الذين اختاروا من البيبليا أجمل النصوص، فحوّلوها إلى أناشيد رتّلتها الأجيال المتتالية، وحفظت هكذا عن ظهر قلب نصوصاً بيبلية عديدة ومتنوعة.

وماذا نقول في التراث الآبائي الأرمني البيبلي؟ لقد ترجم الأرمن تفاسير آبائية من الكنائس الأخرى، السريانية واليونانية وغيرهما، ووضع آباء عديدون من الكنيسة الأرمنية تفاسير للبيبليا من نتاجهم المحلي.

ومن الضروري أيضاً التذكير بأن الألفباء الأرمنية بالذات قد وُضعت في القرن الخامس خصيصاً لتكون هناك ترجمة مكتوبة للبيبليا في الأرمنية.

إن العدد الكبير من المخطوطات البيبلية والتفسيرية الأرمنية لكلمة الله، لَيشهد على القدر الكبير الذي أعطته الكنيسة الأرمنية لهذه الكلمة.

مما تقدم، يمكننا أن نؤكد أن التراث البيبلي الأرمني، الذي تواصل وبدون انقطاع في الإيمان والثقافة الأرمنيَين، جعل من الشعب الأرمني، إذا جاز التعبير، شعباً بيبلياً مميزاً.

١٧٠٠ سنة لاعتماد الشعب الأرمني •

قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني

دخول يسوع إلى أورشليم
من إنجيل الملكة مَرْيُوم، وضع رسومه سركيس پِدْسَاكْ، سنة ١٣٤٦.
نشاهد في أسفل الرسم الملكة مَرْيُوم تشارك في استقبال يسوع.
مخطوط محفوظ في بطريركيّة الأرمن في القدس،
رقمه ١٩٧٣، صفحة ١١٤.

١ – «أنت عجيب ورحيم يا الله! تحيطنا دائماً أبداً بعنايتك الإلهيَّة، ولقد حدّدتَ بسابق علمك الإلهيّ، بداية خلاص الشعب الأرمنيّ».

إخوتي وأخواتي الأعزّاء.

إنّ هذا النشيد الليتُرجيّ القديم، الذي يتغنّى بمبادرة الله، وعمله في تبشير شعبكم النبيل، إنّما ينبع من قلبي المغمور بعواطف العرفان في هذه المناسبة السعيدة، التي تحتفلون خلالها بمرور سبعة عشر قرناً على اعتناق أجدادكم المسيحيَّة. تفرح الكنيسة الكاثوليكيَّة جمعاء، وهي تتذكّر غسل المعموديَّة، الذي دبّرته العناية الإلهيَّة، والذي بفضله دخل شعبكم النبيل والعزيز نهائيّاً في دائرة الشعوب التي تقبّلت الحياة الجديدة في المسيح.

«أنتم الذين قد اعتمدتم جميعاً في المسيح، قد لبستم المسيح» (غلاطية ٣:٢٧).

يبيّن كلام بولس الرسول الوضع الفريد، الذي يرثه المسيحيّ من واقع تقبّله

• رسالة قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني الرسوليّة، لمناسبة مرور ١٧٠٠ عام على اعتماد الشعب الأرمني، الڤاتيكان، ٢ شباط ٢٠٠١.
نقلها إلى العربيّة الشمّاس جورج إسكندر.

المعموديَّة. إنّ الإنسان يتّحد بهذا السرّ اتّحاداً عضويّاً بالمسيح، حتّى إنّه يستطيع أن يؤكّد منذئذٍ وبثقة: «**فما أنا أحيا، بل المسيح يحيا في**» (غلاطية ٢: ٢٠). هذا اللقاء الشخصيّ والفريد يجدّد الكائن البشريّ ويقدّسه ويحوّله، جاعلاً إيّاه متعبّداً كاملاً لله، وهيكلاً حيّاً للروح القدس. فالمعموديَّة التي تطعّم التلميذ، في الحياة الحقيقيَّة التي هي المسيح، تجعله غصناً جديراً بأن يثمر. وإذ يصبح ابناً في الابن، يغدو وارثاً للسعادة الأبديَّة المعدّة منذ إنشاء العالَم.

فكلّ معموديَّة إذاً، هي حدث مطبوع بلقاء الحبّ بين المسيح الربّ والشخص البشريّ، في سرّ الحرّيَّة والحقيقة.

إنّ الأمر يتعلّق بحدث، لا ينقصه البعد الكنسيّ، كما يحدث ذلك في كلّ سرّ آخر: فالاتّحاد بالمسيح يتضمّن أيضاً الاتّحاد بالكنيسة، عروس الكلمة، والأمّ المُحبّة والبريئة من كلّ عيب. ويؤكّد بولس الرسول في هذا الصدد: «**إنّا قبلنا المعموديَّة جميعاً، في روح واحد لنكون جسداً واحداً**» (١ قور ١٢: ١٣).

هذا الانتماء إلى الكنيسة يغدو جليّاً في تاريخ بعض الشعوب، إذ إنّ الاهتداء بالنسبة إليها، كان عملاً جماعيّاً يتعلّق بأحداث أو بظروف خاصّة. وعندما يحدث هذا، فإنّنا نتحدّث عن «**معموديَّة شعب**».

٢- إخوتي وأخواتي الأعزّاء من الشعب الأرمنيّ، لقد مضى على هذا الاهتداء الجماعيّ إلى المسيح سبعة عشر قرناً. إنّ الأمر يتعلّق بحدث كان له بالغ الأثر في تكوين هُويَّتكم، لا الشخصيَّة منها فحسب، بل الجماعيَّة أيضاً، حتّى إنّنا نستطيع التحدّث بعنوان صائب عن «معموديَّة» أمّتكم، حتّى وإن كانت المسيحيَّة قد دخلت منذ زمن بعيد إلى دياركم. وينسب التقليد بدايات التبشير إلى القدّيسين الرسولين تدّاوس وبرتلماوس بنفسيهما.

وبمعموديَّة الجماعة الأرمنيَّة، بدءاً من السُلطات المدنيَّة والعسكريَّة، وُلدت هُويَّة جديدة للشعب، التي ستغدو جزءاً مكوّناً لا ينفصم عن مواقع الكينونة الأرمنيَّة. ومنذئذٍ لن يكون في الإمكان التفكير بمكوّنات هذه الهُويَّة، دون أن يظهر الإيمان بالمسيح، باعتباره عنصراً كيانيّاً وأساسيّاً. وستتلقّى الثقافة الأرمنيَّة أيضاً من إعلان الإنجيل، دفعاً قويّاً ورائعاً، وستعطي «الهُويَّة الأرمنيَّة» هذا الإعلان طابعاً عميقاً ومتميّزاً، وفي الوقت نفسه سيكوّن هذا الإعلان قوّة دافعة إلى التطوّر، لم يسبق لها مثيل في الثقافة الوطنيَّة.

إنّ اختراع الأبجديَّة الأرمنيَّة كان له أثر بالغ في ثبات الطابع المميّز والنهائيّ لهُويَّة الشعب الثقافيَّة، وغدت الأبجديَّة مرتبطة بقوّة «**بمعموديَّة**» الشعب الأرمنيّ، وأصبحت مرغوبة ومبتكرة، إذ إنّها قبل أن تكون أداة اتّصال ونقل للمفاهيم والأخبار، كانت وسيلة حقيقيَّة للتبشير بالإنجيل. والأبجديَّة الجديدة، التي ابتكرها القدّيس مِسروب ماشدوتس بالتعاون مع القدّيس البطريرك ساهاك، سمحت للأرمن أن يستقبلوا التوجّهات الفضلى، المتعلّقة بالروحانيَّة وعلم اللاهوت والثقافة السريانيَّة واليونانيَّة، وأن يذيبوا كلّ هذا، وبطريقة مبتكرة، بالاعتماد على عبقريّتهم الفريدة والخاصّة.

٣- إنّ اهتداء الشعب الأرمنيّ، الذي حدث في بداية القرن الرابع، والذي يضعه التقليد في العام ٣٠١م أعطى أجدادكم أن يعوا كونهم أوّل شعب مسيحيّ رسميّاً، حتّى قبل الاعتراف بالمسيحيَّة، كدين للمملكة الرومانيَّة. ولقد توقّف المؤرّخ «أغاتنجيلو» ليسرد لنا برواية غنيَّة بالرموز وبالتفصيل، الأحداث التي يضعها التقليد عن بداية هذا الاهتداء الجماعيّ لشعبكم.

تبدأ الرواية باللقاء المؤثّر الذي دبّرته العناية الإلهيَّة للبطلَين اللذين كانا في قلب هذه الأحداث: غريغوريوس ابن آناك البارثيّ الذي تربّى في قيصريَّة «قبادوقيا»، والملك الأرمنيّ درطار الثالث.

بدأت الأمور بمواجهة: فقد طلب الملك من غريغوريوس أن يقدّم أضحيَّة للآلهة أناهيد، فاعترض على ذلك برفض قاطع، شارحاً للملك بأنّه لا يوجد إلاّ خالق واحد للسماء والأرض، هو أبو الربّ يسوع المسيح. فأُخضع غريغوريوس لعذابات قاسية بسبب ذلك، ولكنّ قدرة الله ساعدته فلم يرضخ، محقّقاً ذلك بثباته القويّ، وبمجاهرته بالإيمان المسيحيّ. فألقاه الملك في بئر عميقة، في مساحة ضيّقة مظلمة تجتاحها الحيّات، حيث لم يخرج أحد منها حيّاً من قبل. ولكنّ غريغوريوس، كان يُطعَم بوساطة العناية الإلهيَّة، عن يد أرملة محسنة، فبقي لسنوات عديدة في هذه البئر، على قيد الحياة.

وتتابع الرواية الحديث عن المحاولات التي بذلها في أثناء ذلك الإمبراطور الرومانيّ ديوقليتيانُس، لإغواء العذراء القدّيسة هرِبسيمة، التي ابتعدت عن الخطر، فهربت من روما مع مجموعة من رفيقاتها، باحثة عن ملجأ لها في أرمينيا. فاجتذب جمال الفتاة الشابّة، انتباه الملك درطاد، الذي وقع في حبّها وأراد امتلاكها. ولقد أثار رفضها العنيد غضب الملك، فأهلكها مع رفيقاتها بعذابات

قاسية. وبحسب التقليد وكعقوبة على جريمته المروِّعة، تحوّل درطاد إلى حيوان برّيّ متوحّش، وما عاد إلى هيئته البشريَّة، إلاّ حين أطاع إيعاز السماء، فحرّر غريغوريوس من البئر، التي لبث فيها طوال ثلاث عشرة سنة. وعندما تمّت المعجزة، واستعاد درطاد هيئته البشريَّة بفضل صلوات القدّيس، فهم أنّ إله غريغوريوس هو الإله الحقيقيّ، فقرّر أن يعتنق الديانة المسيحيَّة مع عائلته وجيشه، وأن يعمل على نشر الإنجيل في أرجاء الوطن كلّها. هكذا عُمِّد الأرمن وترسّخت المسيحيَّة كدِين رسميّ للأمّة.

وفي غضون ذلك كان غريغوريوس قد تقبّل السيامة الأسقفيَّة في قيصريَّة. ولقد جال درطاد في كلّ أنحاء البلاد، فهدم أماكن عبادة الأصنام، وبنى المعابد المسيحيَّة. وبُنيت كنيسة في فاغارشاباد، وذلك بعد ظهور رؤيا لابن الله الواحد المتجسّد. وبسبب هذا الحدث العجيب، سُمّيت الكنيسة «إتشمياتزين»، ومعناها: المكان حيث (نزل الابن الوحيد). ولقد ثُقِّف كهنة الأوثان بالديانة الجديدة، فغدوا خدّاماً للعبادة الجديدة. وسيكوّن أبناؤهم، في ما بعد، قلب الإكليروس والرهبانيّات الحبيسة المتتالية.

وانسحب غريغوريوس بعد ذلك إلى الصحراء ليتنسّك، فسيم الابن الأصغر أرستاكيس أسقفاً على رأس الكنيسة الأرمنيَّة، فشارك في مجمع نيقية بهذه الصفة.

ويعرّف المؤرِّخ الأرمنيّ موسيس الخوريني غريغوريوس «**بجدّنا وأبينا بحسب الإنجيل**»[١]. ولكي يظهر العلاقة بين التبشير الرسوليّ، وبين رسالة المنوِّر روى التقليد القائل: إنّ غريغوريوس قد حصل على الامتياز بأن يُحبل به قرب ضريح للقدّيس تدّاوس. وتحتفل الروزنامة القديمة للكنيسة قبل انقسامها، بعيد القدّيس في اليوم نفسه شرقاً وغرباً، وذلك بصفته الرسول الذي لا يكلّ للحقيقة والقداسة. وبصفته أباً لإيمان الشعب الأرمنيّ بأجمعه، يتشفّع القدّيس غريغوريوس اليوم أيضاً من السماء، كيما يجتمع كلّ أبناء أمّتكم العظيمة أخيراً، حول المائدة الواحدة التي أقامها المسيح الراعي الإلهيّ للرعيَّة الواحدة.

٤– إنّ هذه الرواية التقليديَّة، تتضمّن إلى جانب الأشكال القصصيَّة، عناصر ذات مدلولات عظيمة روحيَّة وأخلاقيَّة. لقد أُسّس إعلان البشارة، واهتداء أرمينيا أوّلاً، على دماء شهداء الإيمان. فعذابات غريغوريوس واستشهاد هربسيمة ورفيقاتها، يظهران بوضوح أنّ المعموديَّة الأولى لأرمينيا، هي معموديَّة الدم.

فالاستشهاد يكوّن عنصراً ثابتاً لتاريخ شعبكم. إنّ إيمانه باقٍ وبلا انفصام، مرتبط بشهادة الدم المسفوك من أجل المسيح والإنجيل، ولقد طُبعت ثقافة الشعب الأرمنيّ وروحانيَّته بالافتخار بالعلامة السامية لتقدمة الحياة بالشهادة.

ونلحظ ذلك في صدى أنّات الألم الذي تحمّلوه، بالمشاركة مع الحمل الذبيح من أجل خلاص العالَم.

ويتجلّى الرمز في تضحية وارطان ماميكونيان ورفاقه، الذين في أثناء معركة أفاراير (العام ٤٥١م)، ضدّ يزدجرد الثاني الساسانيّ، الذي أراد فرض الديانة المجوسيَّة على الشعب، ضحّوا بحياتهم ليبقوا على إخلاصهم للمسيح، وليدافعوا عن إيمان الأمّة. ويروي المؤرِّخ أليزيه أنّه عشيَّة المواجهة، تمّ حثّ الجنود على الدفاع عن إيمانهم بهذه الكلمات: «إنّ أولئك الذين ظنّوا أنّ المسيحيَّة هي كلباس لنا، سيعلمون الآن أنّهم لن يستطيعوا أبداً خلعها عنّا، مثلما لا يستطيعون نزع لون جلدنا»[٢].

إنّها لشهادة بليغة، للشجاعة التي كانت تنعش هؤلاء المؤمنين إذ إنّ الموت من أجل المسيح، كان يعني لهم المشاركة في آلامه، مؤكّدين حقّ حرّيَّة الضمير. فما كان ينبغي أن يُسمح بنكران الإيمان المسيحيّ، الذي اعتبره الشعب قيمة عُظمى.

ومنذ ذلك العصر، تكرّرت أحداث مماثلة، ولمرّات عديدة، حتّى المذابح التي تحمّلها الأرمن خلال سنوات المحنة بين القرنين التاسع عشر والعشرين، والتي بلغت ذروتها في الأحداث المأساويَّة في العام ١٩١٥م، حيث عانى الشعب الأرمنيّ من عنف لا مثيلَ له. إنّ النتائج الأليمة ما زالت ماثلة للعيان في أرض الشتات، إذ أُرغم عدد كبير من أبناء الشعب على الهجرة. إنّ الأمر يتعلّق بذكرى لا يمكن نسيانها. ولقد أراد أسلافي، ولمرّات عديدة في القرن المنصرم، أن يشيدوا بمسيحيّي أرمينيا، الذين فقدوا حياتهم بطريقة مروّعة[٣].

١– موسيس الخوريني، **تاريخ أرمينيا**، البندقية ١٨٤١، ص ٢٦٥.

٢– أليزيه، **تاريخ وارطان ومعركة الأرمن ضدّ الفرس**، الفصل الخامس، البندقية ١٨٤٠، ص ١٢١.

٣– (1 Benedetto XV, Discorso per il Sacro Concistoro (6 dicembre 1915): *AAS* VII (1915),510; *Lettera ai Governanti dei popoli belligeranti* (1 agosto 1917): *AAS* IX (1917), 419; PIO XI, Discorso al Concistoro per la bealificazione dei venerabili Giovanni Bosco e Cosma da Carboniano (21 aprile 1929): *Discorsi* II, 64: Lett. enc. *Quinquagesimo ante* (23 dicembre 1929): *AAS* XXI (1929), 712: PIO XII, Discorso a fedeli armeni (13 marzo 1946): *Dicorsi e messaggi* VIII, 5-6.

ولقد أردت أنا نفسي التذكير بالآلام التي عانى منها شعبكم: **إنّها آلام أعضاء جسد المسيح السرّيّ**[٤].

إنّ الأحداث الدامية لم تطبع بعمق روح شعبكم فحسب، بل بدّلت أيضاً ولمرّات كثيرة الحدود الجغرافيّة، مُكرهةً إيّاه على هجرات متتالية إلى العالَم أجمع. وتجدر الإشارة إلى أنّه، حيثما ذهب الأرمن حملوا معهم غنى قِيَمهم الأخلاقيّة، ومؤسّساتهم الثقافيّة المرتبطة عضويّاً بالمؤسّسات الكنسيّة.

ولقد عرف المسيحيّون الأرمن، بانقيادهم إلى ضميرهم الواثق بالتأييد الإلهيّ، كيف يحفظون على شفاههم صلاة غريغوريوس الناريكيّ:

«إن ثبّتُّ عينيّ مراقباً الخطر المزدوج يوم البؤس، هل لي أن أرى خلاصك يا رجاء العناية الإلهيّة! وإن حوّلتُ نظري نحو العلى نحو الطريق الرهيب، الذي يصل إلى كلّ مكان، فليأتِ لملاقاتي بلطفٍ ملاك سلامك»[٥].

لقد كان الإيمان المسيحيّ بالحقيقة، وحتّى في أثناء الفترات الأكثر مأساويّة في التاريخ الأرمنيّ، المحرّك الذي طبع بداية انبعاث هذا الشعب المنكوب.

وهكذا كوّنت الكنيسة بمتابعتها لأبنائها، في حجّهم عبر العالَم بحثاً عن السلام والصفاء، القوى الأخلاقيّة الحقيقيّة، إذ غدت، في حالات كثيرة، المرجع الوحيد الذي استندوا إليه، والمركز المخوّل الوحيد الذي ساند الجهود وألهم الفكر.

٥- أيّها الإخوة والأخوات الأرمن! إنّ العنصر الثاني ذا القيمة العظيمة في تاريخكم المضطرب، يتكوّن من العلاقة بين إعلان الإنجيل والثقافة. فمصطلح «**المنوِّر**» الذي وُصف به القدّيس غريغوريوس، يوضّح بجلاء فعله المزدوج في تاريخ اهتداء شعبكم. وفي الواقع، «المنوِّر» هو المصطلح التقليديّ في الخطاب المسيحيّ؛ فللإشارة إلى أنّه عبر المعموديّة يدعو المسيح التلميذ من الظلمات إلى نوره العجيب (١بط ٢:٩)، وهكذا، وهو مغمور بإشراق المسيح «**نور العالَم**» (يوحنّا ٨:١٢)، يجد المسيحيّ فيه المعنى العميق لدعوته ورسالته في العالَم.

لكنّ مصطلح «المنوِّر» في المفهوم الأرمنيّ، يغتني بدلالات فريدة، لأنّه يعني أيضاً نشر الثقافة عبر التعليم، الذي أؤتمن عليه الرهبان المعلّمون، الذين تابعوا إعلان البشرى التي بدأها القدّيس غريغوريوس. وكما لاحظ المؤرّخ غوريون، فإنّ تبشير أرمينيا بالإنجيل حمل معه الانتصار على الجهل[٦]. وهكذا، مع نشر القراءة والكتابة، ومعرفة معايير الكتاب المقدّس وأحكامه استطاع الشعب أخيراً أن يبني مجتمعاً عادلاً بطريقة حكيمة وفطنة. ولم يفتْ أغاتنجيلو أن يلحظ أيضاً، كيف حمل اهتداء أرمينيا معه التحرّر من العبادات الوثنيّة التي كانت لا تخفي حقيقة الإيمان عن الشعب فحسب، بل تُبقيه في حالة من الجهل[٧].

ولهذا السبب اعتبرت الكنيسة الأرمنيّة على الدوام، أنّ نشر الثقافة والوعي القوميّ، هو جزء متمّم لرسالتها، وهي لم تألُ جهداً لإبقاء هذا التوافق حيّاً ومثمراً.

٦- إنّ الرواية التقليديّة للأحداث المرتبطة باهتداء الشعب الأرمنيّ تسمح بأن نأخذ بعين الاعتبار فكرة أخرى. لقد تألّقت في القدّيس غريغوريوس المنوِّر والعذارى القدّيسات قوّة الإيمان العظيمة، ودفعتهم إلى عدم الرضوخ، لمغريات السُلطة والعالَم، وهي التي أهّلتهم لمقاومة العذابات الأكثر قساوةً، وكذلك التملّق الأكثر جذباً. ويمكننا أن نلحظ لدى الملك درطاد، النتائج التي يسبّبها الابتعاد عن الله؛ فقد ضيّع الرجل كرامته بتحوّله إلى شرس، بحيث بقي أسيراً لشهواته. وتنجم عن هذه الرواية حقيقة هامّة مفادها: لا توجد قدسيّة مطلقة للسُلطة، ولا يمكن القول بأنّها دائماً عادلة في ما تنجزه، بل يجب، على النقيض، الاعتراف بالمسؤوليّة الشخصيّة عن كلّ اختيار. فإن كانت الاختيارات خاطئة، فإنّها تبقى كذلك، حتّى ولو كان الملك هو الذي يتّخذها. فالإنسانيّة تتحقّق بالكامل، عندما ينزع الإيمان القناع عن الخطيئة، فيهتدي الظالم ويلتقي الله وعدالته.

٤- عظة في أثناء القدّاس الإلهي بحسب الطقس الأرمني (روما ٣١ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٧)، رقم ٣.

Insegnamenti X/3 (1987), 1177; *Disccorso per l'apertura della mostra Roma-Armenia* (25 marzo 1999), 2: *L'Osservatore Romano*, 11 novembre 2000, p. 4; Discorzo in occasione della visita di Sua Santità Karekine II (9 novembre 2000): *L'Osservatore Romano*, 11 novembre 2000, p. 5.

٥- كريكور الناريكي، كتاب المراثي، المناجاة الثانية، ب، طبعة البندقية ١٨٤٠، ص٥، راجع طبعة ستوديوم، ١٩٩٩، ص ١٦٤-١٦٥.

٦- غوريون، **تاريخ حياة القدّيس مسروب وبدء علم الأدب الأرمني**، البندقية ١٨٩٤، ص ١٩-٢٤.

٧- أغاتنجيلو، **تاريخ**، القسم الثاني، البندقية ١٨٤٣، ص ١٩٦-١٩٨.

وتظهر الهُوِيَّة الحقيقيَّة للمسيحيَّة في الصروح المسيحيَّة، التي بُنيت حيث كانت الأصنام تكرم. إنّها تجمع بين ما هو طبيعيّ ومقبول في معنى الإنسانيَّة الدينيّ، كما تعرف في الوقت عينه، كيف تعرض جدّة إيمان لا يقبل التسويات. وهكذا عندما تُنشئ شعب الله المقدَّس، فهي تعمل أيضاً على انبعاث حضارة جديدة، تسمو فيها القِيَم الإنسانيَّة الأكثر أصالة.

٧- في غمرة الاحتفالات بمرور سبعة عشر قرناً على اهتداء أرمينيا، يرتفع فكري نحو ربّ السموات والأرض، لأعبّر له عن عرفان الكنيسة جمعاء، لأنّه أوجد لدى الشعب الأرمنيّ إيماناً صلباً وشجاعاً إلى هذا الحدّ، ولأنّه دعم باستمرار هذه الشهادة.

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء! إنّني أتّحد بكم بطيبة خاطر، في هذه الذكرى السعيدة، لأتأمّل معكم في المجموعات التي لا تُحصى من القدّيسين، الذين نشأوا في هذه الأرض المقدَّسة، وهم يتألّقون حاليّاً في مجد الآب. إنّ الأمر يتعلّق بوجوه تكوِّن للكنيسة كنزاً ثميناً: إنّهم الشهداء والمعترفون بالإيمان، الرهبان والراهبات، الأبناء والبنات الذي نبتوا من خصب كلمة الله.

من بين الوجوه المشرقة، أريد أن أذكر هنا، القدّيس كريكور الناريكيّ، الذي سبر أعماق ظلمات اليأس البشريّ، كما لمح نور النعمة الساطع، التي تتألّق أيضاً في المؤمن. والقدّيس البطريرك الكاثوليكوس نرسيس شنورهالي، الذي جمع بين الحبّ الرائع لشعبه ولتقاليده وبين انفتاح بصير نحو الكنائس الأخرى، في جهد مثاليّ للبحث عن الشركة في مِلْءِ الوحدة.

وأريد أن أعبّر أوّلاً عن شكري للشعب الأرمنيّ، على تاريخه، الذي اتّسم بالأمانة للمسيح، أمانة عرفت الاضطهاد والشهادة. فقد سفك أبناء أرمينيا المسيحيّون دمهم من أجل الربّ، ولكنّ الكنيسة بأسرها بفضل تضحيتهم، عظُم شأنها وغدت قويّة. وإذا كان يمكن الغرب اليوم أن يجاهر بإيمانه بحريَّة، فهذا أيضاً مردّه إلى أولئك الذين قدّموا أنفسهم ذبيحة، جاعلين من أجسادهم خطّ دفاع عن العالَم المسيحيّ في حدوده القصيَّة. ولقد كان موتهم ثمناً لأمننا، وهم حاليّاً يتألّقون متدثّرين بحلل بيض، رافعين للحمل أناشيد المجد في النعيم السماويّ (رؤيا ٧:٩-١٢).

لقد أغنى تراث الشعب الأرمنيّ الإيمانيّ والأدبيّ الإنسانيَّة بكنوز فنيَّة وإبداعيَّة، وهي منتشرة حاليّاً في العالَم أجمع. ولقد جعل التبشير بالإنجيل طيلة ألف وسبعمائة سنة من هذه الأرض واحدة من مهود الحضارة المسيحيَّة، يتّجه إليها تلاميذ المعلّم الإلهيّ كلّهم، بنظرة ملؤها الإعجاب والتبجيل.

لقد جاب الأرمن العالَم، كسفراء للسلام وحبّ العمل. وبفضل عمل أيديهم الشاقّ، قدّموا له مساهمات لتغييره، وجعله أقرب ما يمكن من مشروع محبّة الآب. والشعب المسيحيّ سعيد بحضورهم السخيّ والأمين، وهو يرجو أن يجدوا التعاطف والتفهّم في أنحاء العالَم كلّها.

٨- كما أرغب في أن أعبّر عن فكرة خاصّة، أوجّهها إلى الذين يعملون من أجل نهضة أرمينيا من آلام السنوات العديدة لنظام الحكم الاستبداديّ. فالشعب ينتظر مؤشّرات عمليَّة للأمل والتضامن. وأنا على يقين أنّ الذكرى الطيّبة لأصوله المسيحيَّة، هي مدعاة للتعزية والتشجيع بالنسبة إلى كلّ أرمنيّ. ويتأكّد لي أنّ الذكرى الحيَّة للمعجزات، التي أنجزها الله بينكم، أيّها المؤمنون الأعزّاء الأرمن، ستساعدكم على أن تكتشفوا بالكامل كرامة الإنسان، كلّ إنسان، مهما كان وضعه، وتدفعكم إلى العمل على أن تستند إعادة بناء وطنكم إلى أسس روحيَّة وأخلاقيَّة.

كما أعبّر عن أُمنياتي الحارّة، بأن يتابع المؤمنون بشجاعة التزامهم وجهودهم المتميّزة، لكي تزدهر أرمينيا المستقبل، بالقِيَم الإنسانيَّة والمسيحيَّة للعدالة والتضامن، والمساواة والاحترام والاستقامة وإكرام الضيف، وهذه كلّها أسس التعايش الإنسانيّ. إذا تحقّق هذا يكون يوبيل الشعب الأرمنيّ قد أثمر تماماً.

أنا على يقين بأنّ حدث مرور سبعة عشر قرناً، على قبول أمّتكم المحبوبة للمعموديَّة، هو لحظة متميّزة وفريدة، لتتابعوا بقوّة طريق الحوار المسكونيّ. فالعلاقات الوديَّة القائمة بين الكنيسة الرسوليَّة الأرمنيَّة، والكنيسة الكاثوليكيَّة، تلقّت أيضاً في العقود الأخيرة دفعاً حاسماً، من خلال لقاءات السُلطات العليا لهذه الكنيسة مع البابا. وكيف ننسى في هذا المجال الزيارات التاريخيَّة، إلى أسقف روما والجماعة المسيحيَّة فيها، التي قام بها قداسة واسكين الأوّل في العام ١٩٧٠، وطيّب الذكر كاريكين الأوّل في العامين ١٩٩٦ و ١٩٩٩، وكذلك الزيارة الأخيرة لكاريكين الثاني؟

إنّ قيامي مؤخّراً بتسليم ذخائر «أبي أرمينيا المسيحيَّة»، إلى قداسة كاريكين

الثاني بحضور بطريرك الأرمن الكاثوليك، لوضعها في كاتدرائيّة يريفان الجديدة، لهو تأكيد للروابط العميقة التي توحّد كنيسة روما بكلّ أبناء القدّيس غريغوريوس المنوِّر.

إنّه الطريق الذي يجب علينا اتّباعه بثقة وشجاعة، لنكون على الدوام أمناء لوصيّة المسيح: «**ليكونوا واحداً**». ويجب على الكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة في هذا المنظور، أن تقدّم إسهاماتها الحاسمة من خلال «**الصلاة قبل كلّ شيء، وعبر المثال في حياتها، وكذلك الأمانة الدينيّة للتقاليد الشرقيّة القديمة، والمعرفة المتبادلة الفضلى، والتعاون والتقدير الأخويّ للأشياء والأشخاص**»[٨].

وسأترأّس بعد بضعة أيّام قدّاساً احتفاليّاً، بمشاركة الأرمن ومن أجلهم، تمجيداً وشكراً لله على عطيّة الإيمان التي قبلوها، مصلّياً كيما «**يوحّد الربّ جميع الشعوب، في كنيسته المقدّسة المبنيّة على أساس الرسل والأنبياء، ويحفظها بلا عيب حتّى يوم عودته**»[٩].

وسيحضر هذا الاحتفال بمائدة الربّ الواحدة لخبز الحياة، الإخوة والأخوات الذين يعيشون الشركة الكاملة مع كرسيّ بطرس والذين يُغنون الكنيسة الكاثوليكيّة بمساهماتهم التي لا تُعوَّض. ولكنّي آمل بحرارة أن تضمّ صلاة الشكر هذه بالروح كلّ الأرمن حيثما وجدوا، لكي تعبّر بصوت واحد عن العرفان بالجميل من كلّ واحد منّا لله، على عطيّة الإيمان بقبلة السلام المقدّسة.

٩- ويتّجه فكري نحو «**أمّ النور مريم العذراء القدّيسة، التي ولدت بالجسد النور، الذي يصدر من الآب، والذي صار فجر شمس العدل**»[١٠]، تلك المكرّمة بمحبّة عميقة تحت اسم «أسدفاتزازين» والدة الإله، وهي الحاضرة في كلّ لحظات التاريخ العاصف لهذا الشعب. وتُظهر النصوص الليتُرجيّة والمواعظ خاصّة، كنوز التقوى المريميّة، التي نسّقت عبر القرون، تعلّق الأرمن البنويّ نحو خادمة سرّ الخلاص العظيم.

إنّ صلاة الكنيسة، علاوة على أنّها تُحْيي ذكراها يوميّاً في الليتُورجيّة الإلهيّة، في ساعات الصلاة كلّها، تلحظ أيضاً خلال العام بأسره، الأعياد التي تذكّر بحياة العذراء، والأسرار الهامّة المتعلّقة بها. فيتوجّه المؤمنون إليها بثقة، طالبين منها التشفّع لدى ابنها: «**يا هيكل النور الذي لا ظلامَ فيه، ومضجع عرس الكلمة الذي لا يوصف، أنتِ التي حطّمتِ اللعنة الحزينة لأمّنا حواء، تضرّعي إلى ابنك الوحيد، الذي صالحنا مع الآب، لينزع عنّا كلّ اضطراب، وليمنح نفوسنا السلام**»[١١]. إنّ عذراء المعونة مريم تكرَّم كملكة لأرمينيا.

وكريكور الناريكيّ المعلّم المريميّ الكبير، في الكنيسة الأرمنيّة، الذي أردتُ أنا أيضاً أن أذكره في الرسالة البابويّة «أمّ الفادي»[١٢]، هو بلا شكّ النجمة المضيئة، ضمن مجموعة من القدّيسين الأرمن، الذين تغنّوا بوالدة الإله. فهو يُحَيّي العذراء القدّيسة «**ككرسيّ مختار للمشيئة الإلهيّة اللامخلوقة**»[١٣]. إنّني عبر هذه الكلمات التي ترفعها الكنيسة المحتفلة بالعيد، أصلّي لكي يكون هذا اليوبيل لمعموديّة أرمينيا دافعاً للنهضة والفرح:

«تقبّل يا ربّ نشيد التمجيد من شفاهنا،
وتلطّف وامنح هذه الكنيسة،
عطايا ونِعَم جبل صهيون وبيت لحم،
لكي نكون جديرين للمشاركة في الخلاص،
يوم الظهور العظيم للمجد الذي لا يفنى
للمخلّص الذي لا يموت ابنك الوحيد»[١٤].

إنّني ألتمس فيض البركات الإلهيّة، على الشعب الأرمنيّ، وعلى الاحتفالات المقبلة متبنّياً تعبير المؤرّخ أغاتنجيلو: «كيما هؤلاء، وهم يوجّهون كلامهم إلى الخالق يقولون: يا ربّ! أنت إلهنا، فيقول لهم: أنتم شعبي»[١٥]. لتمجيد الثالوث الأقدس: **الآب والابن والروح القدس. آمين.**

٨- **المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني**، قرار حول الكنائس الشرقية، رقم ٢٤.

٩- طلبة قديمة، "يا أمّاً قدّيسة"، حسب **كتاب صلوات الفرض الإلهي**، البندقية ١٨٩٨، ص ١٥٢.

١٠- الكاثوليكوس ساهاك الثالث، الطروبارية في يوم عيد الصليب المقدّس، في إكرام العذراء مريم، بحسب **كتاب صلوات الفرض الإلهي**، البندقية ١٨٩٨، ص ٦٥٥.

١١- القدّيس نرسيس شنورهالي، الطروبارية المريمية من الزمن الأربعيني في إكرام العذراء، بحسب **كتاب صلوات الفرض الإلهي**، البندقية ١٨٩٨، ص ٢٧٣.

١٢- راجع n°. 31: AAS 79 (1987) 404

١٣- كريكور الناريكي، **مديح في الطوباويّة مريم العذراء**، البندقية، ١٨٤٠، ص ٤٢٠.

١٤- المرجع نفسه.

١٥- أغاتنجيلو، **تاريخ**، القسم الثاني، البندقية ١٨٤٣، ص ٢٠٠.

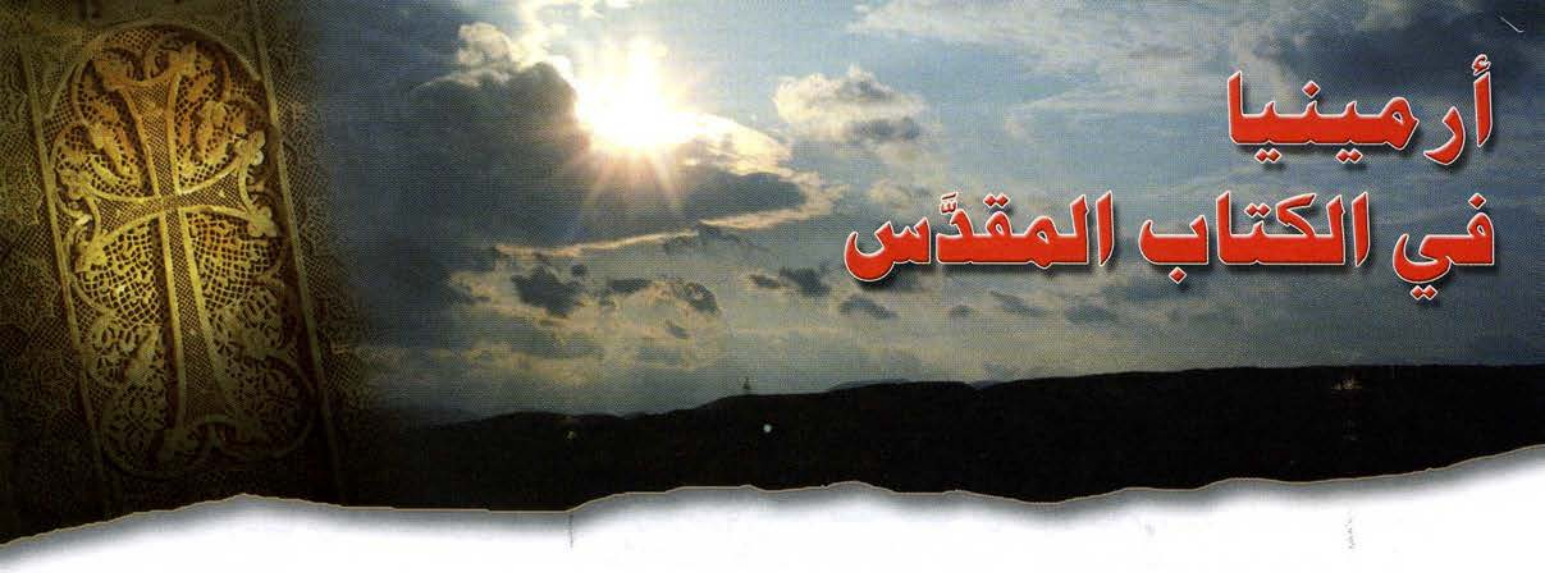

أرمينيا في الكتاب المقدَّس

المطران بطرس مرياتي

رئيس أساقفة حلب وتوابعها للأرمن الكاثوليك

الكتاب المقدّس حاضر دوماً في تاريخ الشعب الأرمنيّ.

ولكن، هل من حضور للأرمن في كتاب الله؟

مقدّمة

إذا بحثنا عن كلمة «أرمينيا» في صفحات الكتاب المقدّس فإننا لن نجد ذِكراً لها. ولكنّ ثمّة أسماء أماكن وشعوب تشير إليها، أضف إلى بعض الدلائل التي تنوّه بها.

ولعلّ كلمة «أراراط» أو «أرارات» المذكورة خمس مرّات في العهد القديم كانت موازية لكلمة «أرمينيا»، فإذا قُلتَ «أراراط» نفهم «أرمينيا». والدليل إلى ذلك أنّ ترجمة الفولغاتا اللاتينيَّة (Vulgata) ذكرت أنّ فلك نُوح استقرّ «فوق جبال أرمينيا» Super montes Armeniae (تك ٨:٤)، في حين أنّ سائر الترجمات تقول «فوق جبال أراراط».

وكثيراً ما يُفهم بكلمة «أراراط» لا الجبل الواقع في أرمينيا وحسب، بل المنطقة أيضاً، فيُقال: «بلاد أراراط»، أي «بلاد أرمينيا».

فلا عجبَ إذا وجدنا الترجمة السبعينيَّة تَستخدم كلمة «أرمينيا» عوضاً من «أراراط» في نصّ أشعيا (٣٧:٣٨)، فتقول: «هَرَبا إلى أرض أرمينيا». كما تُترجِم الفولغاتا (Vulgata) نصّ سِفْر المُلوك الثاني (١٩:٣٧) بالقول: «وهَرَبا إلى أرض أرمينيا» (In terram Armeniorum).

وقد عُرفت هذه المنطقة منذ القديم باسم «أورارطو» بحسب التواريخ الآشوريَّة وأخبارها، وهي مشتقّة من اسم «أراراط»، فاضمحلّت مملكة «أورارطو» وبقي جبل «أراراط» متجاوِزاً تقلّبات التاريخ [1].

نعرض، أوّلاً، الآيات التي تشير إلى أراراط أو أرمينيا، ثمّ ننتقل، ثانياً، إلى بعض التقاليد البيبليَّة المتعلّقة بالأرمن.

أوّلاً: الآيات التي تشير إلى «أراراط» أو «أرمينيا»

في ما يلي الآيات التي ذُكرت فيها كلمة «أراراط» مع الاستعانة ببعض التفاسير والشروحات:

١ – «استقرّت السفينة في الشهر السابع، في اليوم السابع عشر منه، على جبال أراراط» (سِفْر التكوين ٨:٤).

هي السفينة (أو الفُلْك) التي أمر اللهُ نُوحاً بصنعها، وكانت وسيلة للنجاة من الطوفان؛ فحين انحسرت المياه استقرّت على قمّة جبال «أراراط».

وجبال أراراط تقع في بلاد أرمينيا التاريخيَّة، وتبلغ أعلى قمّة فيها ٥١٦٥ متراً تغطّيها الثلوج على مَدار السنة.

وقد أُطلق عليها اسم «جبال» بصيغة الجمع نظراً إلى ضخامتها وإلى وجود قمّتين فيها، الكبرى تُدعى «ماسيس» وهي هرميَّة الشكل، مسطّحة القمّة، عريضة القاعدة، والصغرى تُدعى «سيس» وهي أقلّ ارتفاعاً، مخروطيَّة الشكل، استوحى منها الأرمن شكل قباب كنائسهم.

كما يعود شكل الجبال ونوع التربة المحيطة بها إلى أصل بركانيّ، وقد تغيّرت

١ – راجع: Claude Mutafian et Eric Van Lauwe, *Atlas Historique de l'Arménie* (éd. Autrement, Paris 2001).

بعض تضاريسها جرّاء الزلازل التي زعزعت أركانها (أوّلها وأشدّها قوّةً في العام ١٣٩، وآخرها في العام ١٨٨٧)[٢].

ويذكر ياقوت الحمويّ (القرن الثالث عشر) أنّ جبال أراراط كانت مُغَطّاة بالأشجار والغابات تعيش فيها الحيوانات البرّيّة وكانت مرتعاً لمُلوك الأرمن للصيد والاستجمام.

أمّا في تاريخ الأدب الأرمنيّ فقد دُعي جبل أراراط «بمهد البشريّة الجديد، ومركز انطلاق الشعوب والأُمَم». وعُرف أراراط «بجبل نُوح» أو «جبل سفينة نُوح». ولعلّ أجمل اسم يطلقه الأرمن على هذا الجبل هو «داباناكير» (Dabanaguir) أي «حامِل الفُلْك».

يذكر فلافيوس يوسيفُس (القرن الأوّل) في «العاديّات اليهوديّة» (١:٩٠-٩٣) «ثمّ استقرّ الفُلْك فوق قمّة جبل يُدعى أرمينيا... إنّ الأرمن يدعون ذلك المكان «المحطّة»، ولا يزالون حتّى اليوم يعرضون للناس أجزاءً من بقايا السفينة».

ويذكر المؤرّخ الأرمنيّ «أغَتَنجلو» (القرن الخامس) أنّ جبل أراراط أصبح من الأماكن المقدّسة بعد انتشار الديانة المسيحيّة في أرمينيا في العام ٣٠١، وبأحجاره شُيِّدَت الكنائس الأولى، وفي واحدة منها يقع ضريح الشهيدة هرِبسيمة[٣] قرب إتْشميادْزين[٤].

ويذكر المؤرّخ الأرمنيّ «فاوسطُس بوزانت» (القرن الخامس) أنّ فريقاً من المؤمنين الأرمن وعلى رأسهم القدّيس يَعقوب النصيبيّ صعدوا الجبل للبحث عن بقايا سفينة نُوح. ولمّا لم يستطيعوا الاهتداء إليها أرسل الله إلى القدّيس يَعقوب مَلاكاً حاملاً قطعة خشبيّة من بقايا السفينة فأدرك أنّ قمّة الجبل مقدّسة وعلى الإنسان ألاّ يطأها.

هذه القطعة الخشبيّة محفوظة اليوم في كنيسة إتْشميادْزين وقد عُرضت على المؤمنين في متحف الفاتيكان في العام ١٩٩٩ ضمن المعرض العالَميّ «روما - أرمينيا»[٥].

هذا وقد شُيِّدَت على أسفل سفح جبل أراراط كنيسة على اسم القدّيس يَعقوب دمّرها زلزال العام ١٨٤٠ مع القرية المجاورة «آغوري». وكان بالقرب من الدير نبع ماء يقال إنّه فاض يوم مرّ القدّيس يَعقوب من هناك فتحوّل إلى مكان مقدّس يؤمّه الحُجّاج لنيل الشفاء من الأسقام.

وقد قامت بعثات عديدة منذ القرن الثالث عشر بالبحث عن بقايا سفينة نُوح فلم تفلح. ويذكر الرحّالة الفرنسيّ «روبروك» أنّ الأرمن لا يتسلّقون جبال أراراط ليس بسبب معارجه وخطورته، إنّما رهبة من تدنيس قدسيّته. واستشهد بقول أحد الشيوخ الأرمن: «لا يحقّ صعود جبل ماسيس لأنّه أمّ الدنيا».

تقع جبال أراراط اليوم في تركيّا على الحدود مع أرمينيا. ولكنّ الأرمن ينظرون بحنين وأسف إلى هذا الجبل الرابض الذي ينظر بدَوره إليهم ويلهمهم القصائد والأحلام، ويبقى أبداً رمزاً وشعاراً للشعب الأرمنيّ، اليوم كما في ما مضى.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الكنيسة المكرّسة على اسم القدّيس غريغوريوس المنوِّر «خور فيراب»[٦] حيث البئر التي عاش فيها ثلاث عشرة سنة، تقع في هذه المنطقة الحدوديّة في أقرب نقطة إلى سفح جبل أراراط. وقد زارها قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني في ٢٧ أيلول ٢٠٠١ وحمل منها سراجاً مضيئاً لينقله إلى روما بعد أن متّع نظره في وقفة صلاة بمرأى جبال أراراط البيبليّة.

٢- «وهَرَبا إلى أرض أَراراط» (سِفْر المُلوك الثاني ١٩:٣٧)

الحديث هنا عن أدرملّك وشرآصر ابني سَنْحاريب مَلِك آشور اللذين قتلا والدهما بالسيف حين كان يسجد للإله نصروك في مدينة نينوى (٦٨١ ق.م.).

في هذا النصّ يأتي ذِكر أراراط بالمعنى الأشمل أي الأرض والبلاد. وتُترجَم أيضاً في بعض الكتابات «بأرض أرمينيا» كما جاء في الفولغاتا اللاتينيّة.

٢- راجع كلمة «أراراط»، **الموسوعة الأرمنيّة**، الجزء الأوّل، يريڤان ١٩٧٤.

٣- فتاة متبتّلة هربت من اضطهاد الإمبراطور ديوقليتيانوس ولَجأت إلى أرمينيا مع رفيقاتها حيث استشهدت عن يد الملك درطاد في العام ٢٩٨. وبعد اهتداء أرمينيا جمع القدّيس غريغوريوس المنوِّر رفاتها وأشاد لها ضريحاً في العام ٣٠٢ يؤمّه الزوار حتى اليوم. وقد أُنشئت فوقه كنيسة في العام ٦١٨ تحمل اسم الشهيدة وهي من أقدم الكنائس الأرمنيّة وأجملها هندسة.

٤- اسم بلدة على بعد ٣٠ كم من العاصمة يريفان، وفيها مقرّ الكرسي الرسولي لكاثوليكوس الأرمن ولذلك يعرف باسم «كرسي إتشميادزين». وقد أنشأ فيها القدّيس غريغوريوس المنوِّر أوّل كنيسة علي أنقاض معبد وثني في العام ٣٠٣ وأعطاها اسم «إتشميادزين» أي «نزول الابن الوحيد».

٥- راجع كتاب المعرض: Roma-Armenia, Edizioni de Luca, Roma 1999

٦- خور فيراب، أي البئر العميقة، وكانت في السابق سجناً ثمّ تحوّلت إلى مزار بعد خروج القدّيس غريغوريوس منها سالماً في العام ٣٠١. يترلون إليها بوساطة سلالم معدنيّة وقد شيّد فوق فوهتها معبد صغير وبنيت علي مقربة منها الكنيسة الحاليّة في القرن السابع.

ولا غرابةَ في أن يهرب القاتلان شمالاً باتّجاه ينابيع الفُرات الذي يأخذ مجراه من مناطق جبال أراراط حيث يكونان في مأمن من ثأر أفراد الأسرة المالكة الآشوريَّة.

وذكر المؤرِّخ الأرمنيّ موسيس خوريناتسي (القرن الخامس)، في كتابه «تاريخ الأرمن»، أنّ أدرملّك وشرآصر هربا لاجئَين إلى بلادنا»[٧].

٣- «هَرَبا إلى جبال أَراراط» (طوبيّا ١:٢١)

هي الحادثة التي دُوِّنت في سِفْر المُلوك الثاني كما ذكرناها آنفاً. وهي تؤكّد على لسان طوبيّا الذي كان يعيش في نينوى في عهد المَلِك سَنْحاريب مَلِك آشور، كيف قُتِل على يد ابنيه وكيف هربا إلى جبال أراراط.

وهنا تظهر جَليّاً وحدة المعنى بين «جبال أراراط» و«أرض أراراط»، وكلاهما يشيران إلى بلاد أرمينيا الواقعة في شمال بلاد ما بين النهرين التي كان يحكمها الآشوريّون، وقد دام الحكم الآشوريّ من العام ١٣٦٣ ق.م. إلى العام ٦١٢ ق.م.

وجدير بالذكر أنّ الترجمة الأرمنيَّة القديمة لسِفْر طوبيّا تقول حرفيّاً: «هَرَبا إلى جبال الأرمن».

٤- «هَرَبا إلى أرض أَراراط» (أشعيا ٣٧:٣٨)

هنا أيضاً يأتي ذكر حادثة مقتل المَلِك سَنْحاريب بالسيف على يد ابنيه، وكيف هربا إلى بلاد أرمينيا. وفي هذا السياق تأتي كلمة «أَراراط» بمعنى المنطقة عامّة وليس بمعنى الجبال حصراً.

وقد جاء في الترجمة السبعينيَّة باللغة اليونانيَّة «أرض أرمينيا»، كما ذكرنا آنفاً، وهذا دليل إلى أنّ كلمتَي «أَراراط» و«أرمينيا» كانتا تشيران إلى شيء واحد في عرف الأقدمين وبخاصّة في الكتاب المقدّس.

٥- «نادوا على ممالك أَراراط ومنّي وأشكناز» (إرميا ٥١:٢٧)

يذكر النبيّ إرميا الممالك التي تُقيم في المنطقة الأرمنيَّة وأوّلها مملكة «أَراراط» أو «أُورارطو»، كما جاء ذكرها أيضاً في المصادر الأرمنيَّة والسريانيَّة، وقد دامت المملكة من العام ٨٢٤ ق.م. إلى العام ٥٨٥ ق.م. حين أخضعت للبابليّين في عهد نَبوخَذْنَصَّر[٨].

وقد ذَكر النبيّ إرميا هذه الممالك الشماليَّة طالباً تحالفها ضدّ مملكة البابليّين التي كانت تستعدّ للسيطرة على أورشليم بعد تمرّد صدقيا ولإخضاع جميع البلدان المجاورة لها. وتمّ الاستيلاء الثاني على أورشليم في العام ٥٨٧ فخُرب الهيكل وأُجلي السكّان.

وتذكر المصادر التاريخيَّة، وخصوصاً اليونانيَّة منها: هيرودوتُس (القرن الخامس ق. م.) واسطرابون (القرن الأوّل ق. م.)، أنّه، في نهاية القرن السابع ق.م. وبداية القرن السادس ق.م.، «اشتدّت قوّة الممالك المنتشرة في المناطق الأرمنيَّة أُورارطو وأشكيناز ومنّي»، وهذا ما يتطابق تماماً مع ما جاء في الكتاب المقدّس. ولكن، بالرغم من تحالفها مع الآشوريّين والميديّين، سقطت أمام جحافل البابليّين.

٦- «وكان بيت توجَرمة يقايض سِلَعَكِ بالخيل والجياد والبغال» (حزقيال ٢٧:١٤)

بحسب التقليد الأرمنيّ فإنّ «بيت توجَرمة» تعني أرمينيا. وتأتي الصيغة باللغة الأرمنيَّة «تورجوما» أو «طوركوما» وهي تدلّ إلى جذور الأرمن وأجدادهم[٩].

وقد أقامت سلالة «بيت توجَرمة» في الشمال، كما جاء في حزقيال (٣٨:٦)، وهي من سلالة جومر المذكورة في تك (١٠:٣) وسِفْر الأخبار (١:٦). ويقول أُوسابيوس القيصريّ (القرن الثالث): «طوركوم ومنهم الأرمن»[١٠].

بعد هذا العرض المقتضب نستنتج أنّ كلمتَي «أَراراط» و«أرمينيا» كثيراً ما تُستخدمان، على حدّ سواء، في مخطوطات العهد القديم اليونانيَّة. أضف إلى ذلك أنّ الترجمة اللاتينيَّة القديمة تستخدم أيضاً مصطلح «أرمينيا» عوضاً عن «أَراراط».

٧- «أرمينيا» في كتابات آباء الكنيسة

وإذا عدنا إلى كتابات آباء الكنيسة اللاتين والروم والسريان نجد في تفاسيرهم للكتاب المقدّس إشارة واضحة إلى أرمينيا، فيستخدمون هذه الكلمة عوضاً عن كلمة «أراراط».

٧- راجع ترجمة نزار خليلي باللغة العربيّة: موسيس خوريناتسي، **تاريخ الأرمن** (دار اشبيلية – دمشق ١٩٩٩) ٦٤.

٨- راجع كتاب: Boris B. Piotrovski, *Uratru* (éd. Nagel 1975).

٩- اسم «طوركوم» هو اسم علم بين الأرمن. وتُذكر هذه الكلمة بمعنى الصفة للدلالة على أصل الرجل، كما جاء في طروبارية الشهيد الأرمني كاريكين: «يا من ولدت من سلالة طوركوم...».

١٠- راجع حاشية حزقيال ٢٧:١٤ في الطبعة اليسوعيّة.

نذكر بين هؤلاء المفسِّرين:

- أوريجينُس (†٢٥٣) الذي يستخدم في تفاسيره وعظاته حول الكتاب المقدّس تارةً «أرمينيا» وطَوراً «أراراط» بلا حَرَج.
- القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم (†٤٠٧)، في عظته عن «المحبّة الكاملة»، يذكر «جبال أرمينيا حيث استقرّ الفُلْك» [١١].
- القدّيس هيرونيمُس (†٤٢٠) يذكر كلمة «أرمينيا» عوضاً عن «أراراط» في تفسيره لسِفْر التكوين [١٢].
- القدّيس أفرام السريانيّ (†٣٧٣) يستخدم، بلا تمييز، أسماء «أراراط» و«أرمينيا» و«كورط» (ربّما من أصل أُورط– أُورارطو). فحين يُفسِّر ما جاء في سِفْر أشعيا (٣٨:٣٧) يكتب: «إلى بلاد الكورط وهي أراراط» [١٣]. وفي شرحه نصّ سِفْر المُلوك الثاني (٣٧:١٩) يكتب: «هي جبال في أرمينيا، وهي الجبال نفسها التي تحمل اسم جبال الكورط حيث حطّت سفينة نُوح» [١٤].

إنّ الاستشهادات من كتابات المفسِّرين الأوائل كثيرة، إلاّ أنّنا نكتفي بهذا القَدْر[١٥] وننتقل إلى القسم الثاني لعرض بعض المعطيات الكتابيَّة المتعلِّقة بأرمينيا.

ثانياً: تقاليد كتابيَّة مرتبطة بأرمينيا

ثمّة أحداث في الكتاب المقدَّس لا تُذكر فيها كلمة «أرمينيا» أو «أراراط» ولكنّها تشير إليها، ومن هنا أهمّيَّة عرضها وشرحها.

١– «وغَرَس الربّ الإله جنّةً في عَدْن شرقا» (تك ٢:٨)

في الترجمة اليونانيَّة السبعينيَّة، وفي التقليد كلّه بعدها، تُترجَم «جنّة» بـ «الفردوس».

هو الفردوس الذي خلق فيه الله الإنسان حيث «الطيّبات». وهذا هو معنى كلمة «عَدْن» في الأصل العبريّ. وثمّة تقاليد أرمنيَّة وآبائيَّة تُفيد أنّ الجنّة تقع في أرمينيا نظراً إلى ذِكر أسماء الأنهر التي تنبع من جبالها، وبخاصّة دجلة والفُرات (تك ٢:١٤).

٢– «وابتدأ نُوح حارث الأرض يغرس الكرم» (تك ٩:٢٠)

إنّ أوّل ما فعله نُوح بعد خروجه من السفينة غِراسة الكرم. ومن العنب أخرج الخمر فشرب منه وسَكر.

وإذا حطّت السفينة على جبال أراراط فبديهيّ أنّ الكرمة غُرست على سفحه. وهذا ما تتميّز به إلى اليوم سفوح أراراط الممتدَّة إلى سهول أرمينيا وفيها أجود أنواع الكروم. ولا تزال تلك المنطقة تُدعى إلى يومنا هذا «سهول أراراط».

جاء في كتاب «اليوبيلات» أو «التكوين الصغير» الذي يُنسب إلى جماعة قَمْران أو الآسانيّين ما يلي: «غرس نُوح كرمة قرب الجبل الذي حطّت عليه السفينة، المُسمّى لوبار، وهو أحد جبال أراراط. فأنتجت ثمراً في السنة الرابعة» [١٦].

وقد أصبحت الكرمة من رموز الأرمن، إذ أدخلوها في طقوسهم الدينيَّة الوثنيَّة القديمة، فكانوا يحتفلون بأعياد الخمر في ١١ آب وهو بداية السنة الأرمنيَّة القديمة. ومع دخول المسيحيَّة تحوّلت هذه الأعياد إلى رُتَب دينيَّة ذات معنى مسيحيّ لأنّ المسيح هو الكرمة الحقيقيَّة. فيُبارَك العنب في عيد السيّدة في منتصف شهر آب ويُوزَّع على المؤمنين بركةً للحقول والبيوت، وشفاءً للنفس والجسد.

كما أنّ العنب لا يزال حتّى اليوم يدخل في الرموز والشعارات المدنيَّة التي تتباهى بها الدولة الأرمنيَّة. فتجد صورة عنقود العنب مع حبّات الرمّان مطبوعةً على الأوراق النقديَّة واللوحات الرسميَّة والدروع الوطنيَّة ومنقوشةً على جدران الكنائس والأبنية.

٣– «فخرج بهم (أبرام) من أُور الكلدانيين، ليذهبوا إلى أرض كنعان» (تك ١١:٣١)

ذُكرت كلمة «أُور» غير مرّة في العهد القديم (تك ١١:٢٨ – ٣١، ١١:٣١، ١٥:٧، نحميا ٩:٧)، وتُذكر أيضاً بصيغة «أُور الكلدانيّين».

وثمّة دراسات تُفيد أنّ ذِكر «الكلدانيّين» قد يكون أضيف في الحقبة

١١– Migne, *PG* 56, col. 287

١٢– Migne, *PL* 24 col. 403, 28 col. 206

١٣– *Ephrem Syri Opera omnia*, Tom. II syr. et lat. Romae 1740, p. 82

١٤– *Ephrem Syri Opera omnia*, Tom. I syr. et lat. Romae 1737, p. 560

١٥– ناقش الأب الدكتور فاهان إنكلزيان (من الرهبان المخيتاريين) هذا الموضوع في أطروحة جامعيّة نُشرت في العام ١٩٣٥ **Armenien in der Bibel** لنيل الدكتوراه من جامعة فيينّا، ثمّ طُبعت باللغة الأرمنيّة في العام ١٩٤٧ في فيينّا – النمسا، بعنوان: «أرمينيا في الكتاب المقدّس».

١٦– راجع سلسلة «على هامش الكتاب، ٥» – الخوري بولس الفغالي – الرابطة الكتابيّة – لبنان ٢٠٠٠.

البابليّة الجديدة حيث عاش العبرانيّون فترة السبي، وجعلوا انطلاقة إبراهيم من المناطق التي عاشوا فيها في بلاد الرافدَين[١٧].

لا نستطيع في هذه العُجالة أن نناقش الموضوع مفصّلاً لكنّنا نُعدّ دراسة نستنتج منها أنّ «أُور» الحقيقيّة مشتقّة من كلمة «أُورارطو» أي مملكة أرمينيا. ويكون إبراهيم قد نزح من الشمال إلى الجنوب، أي من أرمينيا إلى أرض كنعان مروراً بحرّان.

وإليكم بعض القرائن التي تدعم هذا الرأي:

١- تمّت إقامة أبرام بن تارح بن نُوح في مكان قريب من السفينة أي في بلاد «أُورارطو» ولا يُعقل أن يكون في هذه الفترة الوجيزة بعد الطوفان قد انتقل إلى الجنوب الأقصى للرافدَين.

٢- ليس من المنطق الجغرافّي أن يكون إبراهيم انطلق شمالاً من أقصى بلاد الرافدَين الجنوبيّة الشرقيّة ثمّ عرّج غرباً باتّجاه حرّان ليعود فيسلك طريق الجنوب الغربيّ!

٣- إنّ الشعوب التي ذكرها نحميا (٩:٧-٨) متحدّثاً عن خروج أبرام من أور هي شعوب واقعة على الخطّ من الشمال إلى الجنوب (الكنعانيّون والحثّيّون والأموريّون والفرزيّون واليبوسيّون والجرجاشيّون)، وليس لها علاقة بشعوب المنطقة الشرقيّة (الآشوريّون والأكاديّون والبابليّون والسومريّون...).

٤- إنّ مسيرة إبراهيم ونسله ومسيرة العبرانيّين نحو مصر مشفوعة بمسيرة أخرى أو نزوح آخر تمّ في التاريخ من الشمال إلى الجنوب، ألا وهو نزوح ما يسمّونهم الهكسوس (الرعاة) الذين قَدِموا من الشمال حتّى وصلوا إلى مصر وأسّسوا مملكة من العام ١٧٣٠ إلى العام ١٥٥٠ ق.م. ويعتبر بعض المؤرّخين أنّ «الهكسوس» هم من الشعوب الآسيويّة من الأصل الأرمنيّ وهذا ما يُشير إليه اسمهم المشتقّ من كلمة هايك «HAIG» وهو أبو الأرمن.

نخلص إلى القول إنّ «أُور» هي في «أُورارطو» الأرمنيّة وليست في أقصى جنوب بلاد الرافدَين.

ولا غرابةَ في أن يكون بعض الكتبة (عزرا ونحميا..) قد أسقط خروجَ العبرانيّين من أُور البابليّة، حيث كانوا منفيّين، على خروج إبراهيم من أُور الأرمنيّة، حيث كان مُقيماً. فمن الممكن أنّهم شيّدوا لهم مزاراً في أُور الكلدانيّة بعد خراب الهيكل وجعلوا محاكاةً بين عودتهم إلى أورشليم في سنة ٥٣٨ ق.م في عهد المَلِك الفارسيّ قورُش (٥٥١-٥٢٩ ق.م.)، وبين انطلاقة إبراهيم باتّجاه أورشليم.

٤- «وأجلسُ على جبل الجماعة في أقاصي الشمال» (أشعيا ١٤:١٣)

هذه الكلمات مذكورة في هجاء موجّه إلى مَلِك آشور أو مَلِك بابل الذي تحدّى الله، إذ أراد أن يصعد إلى السماء ويرفع عرشه فوق كواكب الله ويجلس على «جبل الجماعة» في أقاصي الشمال.

هذا الجبل في عرف كثير من المفسّرين هو جبل أراراط الذي اعتُبر في العهد القديم نهاية الأرض في الشمال وأعلى قمّة في المعمورة قدّستها سفينة نُوح.

أمّا بالنسبة إلى الوثنيّين فكان يُعتبر «جبل الآلهة»، ولذلك يقول جبل الجماعة أي جماعة الآلهة التي لا تموت.

٥- «فكيف يسمعهم كلّ منّا بلغة بلده بين فريشيّين وميديّين وعيلاميّين وسكّان الجزيرة بين النهرين واليهوديّة وقبّدوقية وبنطس وآسية وفريجية وبمفيلية..» (أعمال ٢:٩).

ذُكرت أسماء هذه المناطق الجغرافيّة في سِفْر أعمال الرسل لمّا وقعت حادثة نزول الروح القُدُس على التلاميذ، فراحوا يتكلّمون بلغات غير لغتهم، فتجمهر الناس حولهم وقد أخذتهم الحيرة لأنّ كلّ واحد كان يسمعهم يتكلّمون بلغة بلده.

يرى بعض الدارسين أنّ كلمة «اليهوديّة» نُقلت سهواً عن طريق النُسّاخ، فليس من منطق لوجودها في سياق الكلمات التي تشير إلى المناطق الشماليّة البعيدة كلّ البعد عن اليهوديّة. ومن هذه المناطق الشماليّة المتاخمة للمناطق المذكورة أرمينيا - «هايسدان» التي قد يكون فهمت «يهودستان».

يُفسِّر بعضهم أنّ كلمة «يهوديّة» ذُكرت هنا للدلالة إلى أهمّيّتها ومركزيّتها بين سائر البلدان. ولكنّ هذا التفسير لا يقنع الباحثين، إذ إنّ سكّان اليهوديّة كانوا يفهمون لغة الجليليّين. كما أنّ المصادر

١٧- راجع حاشية تك ١١:٣١ بحسب الترجمة اليسوعيّة.

"Cui enim at aliae gentes crediderunt, Parthi, Medi, Elamitae et qui inhabitant Mesopotamiam, Armeniam, Phrygiam, Cappadociam et incolentes Pontum", etc. Tertulianus, *Adversus Judaeos* 7. Migne, *PL* 2, coll 649.

"Qui inhabitant Mesopotamian, Armeniam, et Cappadociam". Augustinus, Contra epistulam, quam vocant fundamenti, c. 9. Corpus script. eccl. lat, vol. 25 pars 1, p. 204.

جبل أراراط (تك ٨: ٤)، عليه استقرّ فُلْكُ نوح بعد الطوفان!

التاريخيَّة تؤكّد وجود اليهود في أرمينيا في الحقبة ما قبل المسيحيَّة، وكانوا يقومون بشعائرهم الدينيَّة بما في ذلك الحَجّ إلى أورشليم.

ما يؤكّد هذا الأمر أنّ تَرتولْيانوس (†٢٢٠) وأوغسطينُس (†٤٣٠) يذكران سكّان «أرمينيا» بين سكّان «الجزيرة بين النهرين» و«قبَّدوقية» مُشيرَين إلى أصل الحُجّاج الذين صعدوا إلى أورشليم من أجل العيد [١٨].

هذا هو النصّ الوحيد في العهد الجديد الذي ربّما يكون سقط فيه ذِكر الأرمن.

وما تجدر الإشارة إليه أنّ تقليداً آخر جعل للأرمن مكانة في علم تفسير الأناجيل؛ فقد بقي إنجيل توما المنحول محفوظاً بصيغته الأرمنيَّة المعروفة باسم «إنجيل الطفولة الأرمني»، في حين فُقِد الأصل مع سائر الترجمات. وما يشدّ الانتباه أنّ التقليد الكنسيّ تبنّى أسماء المجوس المذكورة حصراً في هذا الإنجيل المنحول ولا ذِكر لها في الأناجيل القانونيَّة. وهم: مِلْكون وكَسْبار وبَغْدَه صار. ومعروف أنّ هذه الأسماء متداولة كثيراً بين الأرمن (مِلْكونيان – كَسْباريان – بَغْدَه صاريان) [١٩].

خاتمة

هذه ومضات أطلقناها ومسارات فتحناها في البحث عن أرمينيا في الكتاب المقدَّس. ولكنّ جميع هذه المُعطيات في حاجة إلى مزيد من الفحص والتمحيص؛ فللتاريخ خفاياه ومعارجه.

إذا لم يذكر الكتاب المقدَّس كلمة «أرمينيا» واكتفى بالإشارة إليها بكلمة «أراراط» فإنّ أرمينيا بقيت «ذاكرة الكتاب المقدَّس»، حتّى ذهب بعضهم إلى القول: «إنّ البيبليا تجد أرضيّتها في أرمينيا»، أو بمعنى آخر «أرمينيا أرضٌ بيبليَّة» [٢٠].

إنّ ثمّة علاقة فريدة بين الأرمن والكتاب المقدَّس، وخصوصاً أنّهم، منذ اهتدائهم، وجدوا أنفسهم غير غريبين عن أحداثه، منذ بدء الخليقة إلى يوم نزول الروح القُدُس، فكان لجبل أراراط حضور مميّز في تاريخهم.

وهذا ما ذكره قداسة البابا خلال زيارته إلى أرمينيا في ذكرى مرور ١٧٠٠ سنة على اعتمادها: «**لقد كان جبل أراراط بالنسبة إلى الشعب الأرمنيّ طيلة حقبات التاريخ، رمزاً للاستقرار ومنبعاً للثقة. فكم من مرّة تعرّض الاستقرار والثقة لهزّات العنف والاضطهاد، فدفع الشعب الأرمنيّ غالياً ثمن وجوده في المناطق الحدوديَّة، فأصبحت كلمتا "قداسة" و"شهادة" مترادفتين في مصطلحاته الدينيَّة**» [٢١].

١٨– "Cui enim at aliae gentes crediderunt, Parthi, Medi, Elamitae et qui inhabitant Mesopotamiam, Armeniam, Phrygiam, Cappadociam et incolentes Pontum" etc. Tertulianus, *Adversus Judaeos* 7. Migne, *PL* 2, Coll 649.
"Qui inhabitant Mesopotamian, Armeniam, et Cappadociam". Augustinus, *Contra epistulam*, quam vocant fundamenti, c. 9. Corpus script. eccl. lat, vol. 25 pars 1, p. 204.

١٩– A. Robert et A. Feuillet, *Introduction à la Bible*, II (Desclé et Co. Belgique 1959) 743.

٢٠– Jean-Luc Pouthier, in *Le Monde de la Bible*, 136 (2001) 3.

٢١– من خطاب المغادرة من مطار يريفان (٢٠٠١/٩/٢٧).

البيبليا في الكنيسة الأرمنيّة •

الخوري بولس الفغالي

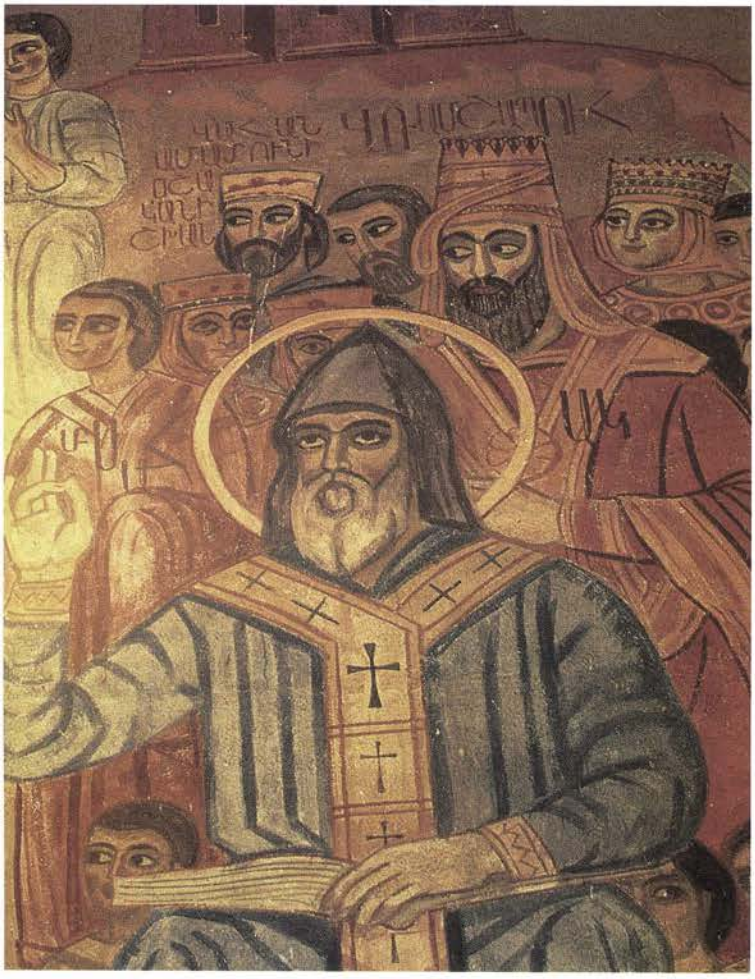

البطريرك ساحاق، كاثوليكوس أرمينيا، والملك قِيَامْشَاپُوه (يعتمر تاجاً، ويقف وراء البطريرك)، هما اللذان شجّعَا الراهب الأرمني مَاشْتُسْ، في مستهل القرن الخامس، على خلق الأبجديّة الأرمنيّة
(رَسْم من كنيسة أُوشْكَان)

بدأت هداية الأرمن إلى الإيمان المسيحي في القرن الأوّل، ونشط التبشيرُ في القرن الثاني، ولكنّه ظلّ بطيئًا، ربّما لأنّ المبشّرين لم يكونوا من أهل البلاد. أمّا اهتداء أرمينيا كلّيًّا فيرتبط بغريغوريوس المنوّر، الذي تربّى في قيصريّة كبادوكية، في تركيّا الحاليّة، وجاء إلى موطنه يحمل الإنجيل. استعمل غريغوريوس اللغة الأرمنيّة في وعظه، ولكن بما أنّ الكتابة الأرمنيّة لم تكن بعدُ موجودة، درس البيبليا في اليونانيّة أو السريانيّة. ويبقى أنّ الأساس الأوّل في اللغة المسيحيّة لدى الأرمن كان فارسيًّا وسريانيًّا. أمّا كلامنا فيدور حول البيبليا في الكنيسة الأرمنيّة، في ثلاث محطّات: الترجمة، المخطوطات، ارتباط هذه الترجمة بالعالَمين السرياني واليوناني.

١ – ترجمة البيبليا إلى الأرمنيّة

تنسب المراجع التاريخيّة الأرمنيّة ترجمة البيبليا إلى الأرمنيّة إلى القدّيس مسروب. كان هذا كاهنًا أرمنيًّا، وُلد حوالي سنة ٣٦١ وتوفّي في ١٧ شباط

• استقينا المقال من:
L. LELOIR, "Versions arméniennes orientales de la Bible", *DBS* VI (Paris, 1960) col. 810-818.

من سنة ٤٣٩، وإلى البطريرك ساحاق الذي وُلد حوالي سنة ٣٥٠، وتوفّي في ٧ أيلول من سنة ٤٣٩. كان ابن نرسيس الكبير ابن غريغوريوس المنوّر. بعد أن رُسم مسروب كاهنًا سنة ٣٩٣، بدأ رسالته حتّى أقاصي أرمينيّا، وهناك أحسّ بضرورة تأمين نصوص الكتاب المقدّس في لغة البلاد وفي حرف أرمنيّ. فخلق أبجديّة أرمينيّة، وكان الوقت مؤاتيًا بعد أن تحرّرت أرمينيا من سلطة قيصريّة. ووجب وجودُ لغة وحرف أرمنيَيْن خوفًا من التأثير الفارسي الوثني على أرمينيا المسيحيّة. استنبط مسروب الأبجديّة في الرها، سنة ٤٠٧–٤٠٨، على ما يبدو، ومضى إلى شميشاط، لدى خطّاط شهير اسمه روفينوس. وهكذا ظهرت الأبجديّة الأرمنيّة في ستة وثلاثين حرفًا.

وبدأت ترجمة الكتاب المقدّس، وأوّل ما تُرجم كان سفر الأمثال، ثمّ العهد الجديد، ثمّ سائر أسفار العهد القديم. ويبدو أنّ نصّ الترجمة كان كاملاً سنة ٤١٤. لعب مسروب وساحاق دورًا كبيرًا في هذا العمل، ولكنّهما استعانَا بعلماء سريان في الدرجة الأولى، ويونان.

كانت هذه الترجمة الأولى ترجمة سريعة، وجاء من يحسّنها لكي تكون أكثر أمانة للأصل، وترتدي ثوبًا أدبيًّا يليق بكلام الله. وقد حُفظت لنا أسفار الأخبار والمكابيّين ونشيد الأناشيد وابن سيراخ في الترجمة الأولى وفي الترجمة المحسّنة. ووُجدت نصوص من المزامير في كتاب الصلاة الأرمني، من الترجمة الأولى.

بعد سنة ٤٣٦، أعاد النظر في الترجمة المحسّنة، ازنبك وساحاق، على أساس نصوص جاءت من القسطنطينيّة. وهكذا كان تأثير الكودكس الاسكندراني والكودكس السينائيّ كبيرًا على عدد كبير من أسفار العهد القديم، ولا سيّما الحكمة وابن سيراخ. فنحن نقرأ في المخطوط ١٩٣ أتشمياتزين، الحاشية التالية: «تثبّتت هذه النسخة حسب مخطوطات اسكندرانيّة في أورشليم، وحسب رباعيّات أوريجانس». في الواقع، في سداسيات اوريجانس أو الهكسبلة (Hexaples) (في ستة عواميد). وقد تركت بصماتها مع اختلافات من أكيلا وسيماك وتيودوسيون، التي جُمعت في هامش الترجمة.

كانت ترجمة البيبليا الأرمنيّة نقطة انطلاق لنشاط أدبيّ كبير، تميّز بمؤلّفات كُتبت أصلاً في الأرمنيّة، وبأُخرى ترجمت من السريانيّة واليونانيّة. كلّ هذا ثبّت الديانة المسيحيّة ومتّنها، كما حوّل نفسيّة الأُمّة، فَوَعَتْ فرادتها الحضاريّة وإمكاناتها الروحيّة.

٢– المخطوطات الأرمنيّة وطبعاتها

المنابع الرئيسيّة للمخطوطات الأرمنيّة، نجدها في يِرِڤانْ (أرمينيا)، وأورشليم، والبندقيّة (إيطاليا)، وڤيينا (النمسا). أمّا مجموعة يِرِڤان فتمتلك أكبر عدد من المخطوطات، لكن مجموعة البندقيّة هي الأكثر تنوّعًا والأغنى على المستوى البيبليّ.

حسب اللوائح، أقدم مخطوطات الأناجيل (وهي على الرقّ) هي التي في موسكو (سنة ٨٨٧)، وقد صوّر تصويرًا، ومخطوط البندقيّة (القدّيس لعازر، الرقم ١١٤٤، سنة ٩٠١)، ومخطوط ارتزاخ في أرمينيا (سنة ٩٠٩)، وبليتمور، رقم ٥٢٧ (سنة ٩٦٠)، ولنيناكان في أرمينيا (سنة ٩٨٨)، والقدّيس لعازر، رقم ١٩٠ (القرن العاشر)، وأتشمياتزين ٢٢٩ (سنة ٩٨٩)، ويِرِڤان، رقم ٢٠٨ (سنة ٩٩٢–٩٩٩)، والقدّيس لعازر، رقم ١٤٠٠ (القرن العاشر – الحادي عشر).

أمّا أقدم مخطوطات للمزامير فنجدها في البندقيّة، القدّيس لعازر، الأوّل، رقم ١٦٥١، كُتب على الرق، ويعود إلى القرن العاشر – الحادي عشر، والثاني، رقم ١٢٧١، على رقٍّ يعود إلى القرن الثاني عشر.

وأقدم الكتب المقدّسة نجدها أيضًا في البندقيّة، رقم ١٣١١، كُتب على ورق، ويعود إلى القرن الثاني عشر – الثالث عشر. رقم ٦٩٦، كُتب على الورق، ويعود إلى سنة ١٢٠١. وفي أورشليم، وُجدت نسخة ناقصة (رقم ١٤٨) كُتِبَت على الورق، وتعود إلى سنة ١٢١٤. والرقم ١٣١٢، البندقيّة، كُتب على ورق، ويعود إلى سنة ١٢٥٧. والرقم ٨٤١، ويعود إلى القرن الثالث عشر، وكُتب على الورق. أمّا الرقم ١١٥٩، فهو رقّ يعود إلى القرن الثالث عشر وكذلك الرقم ٣٧٦، كُتب على رقّ يعود إلى القرن الثالث عشر.

طُبع الكتاب المقدّس أوّل ما طُبع في أمستردام، سنة ١٦١٩. هي نسخة أوسكان، ولكنّها لم تكن طبعة نقديّة، بل انتقائيّة واعتباطيّة، بمعنى أنّ الناشر اختار من هذا المخطوط أو ذاك دون أن يقوم بدراسة المخطوطات. لم يقدّم أوسكان مخطوطه بأمانة، بل حوّل النصّ مرارًا ليتطابق مع الشعبيّة اللاتينيّة، غير أنّه احتفظ بعض المرّات بنصوص قديمة، ولا سيّما في سفر المزامير، وهذا ما يجعل العودة إلى هذه الطبعة مفيدة في بعض الأحيان. نشير إلى أنّ هذا النصّ أُعيد طبعه في القسطنطينيّة سنة ١٧٠٥.

من سنة ٤٣٩، وإلى البطريرك ساحاق الذي وُلد حوالي سنة ٣٥٠، وتوفّي في ٧ أيلول من سنة ٤٣٩. كان ابن نرسيس الكبير ابن غريغوريوس المنوّر. بعد أن رُسم مسروب كاهنًا سنة ٣٩٣، بدأ رسالته حتّى أقاصي أرمينيّا، وهناك أحسّ بضرورة تأمين نصوص الكتاب المقدّس في لغة البلاد وفي حرف أرمنيّ. فخلق أبجديّة أرمينيّة، وكان الوقت مؤاتيًا بعد أن تحرّرت أرمينيا من سلطة قيصريّة. ووجب وجودُ لغة وحرف أرمنيَيْن خوفًا من التأثير الفارسي الوثني على أرمينيا المسيحيّة. استنبط مسروب الأبجديّة في الرها، سنة ٤٠٧–٤٠٨، على ما يبدو، ومضى إلى شميشاط، لدى خطّاط شهير اسمه روفينوس. وهكذا ظهرت الأبجديّة الأرمنيّة في ستة وثلاثين حرفًا.

وبدأت ترجمة الكتاب المقدّس، وأوّل ما تُرجم كان سفر الأمثال، ثمّ العهد الجديد، ثمّ سائر أسفار العهد القديم. ويبدو أنّ نصّ الترجمة كان كاملاً سنة ٤١٤. لعب مسروب وساحاق دورًا كبيرًا في هذا العمل، ولكنّهما استعانَا بعلماء سريان في الدرجة الأولى، ويونان.

كانت هذه الترجمة الأولى ترجمة سريعة، وجاء من يحسّنها لكي تكون أكثر أمانة للأصل، وترتدي ثوبًا أدبيًّا يليق بكلام الله. وقد حُفظت لنا أسفار الأخبار والمكابيّين ونشيد الأناشيد وابن سيراخ في الترجمة الأولى وفي الترجمة المحسّنة. ووُجدت نصوص من المزامير في كتاب الصلاة الأرمني، من الترجمة الأولى.

بعد سنة ٤٣٦، أعاد النظر في الترجمة المحسّنة، ازنبك وساحاق، على أساس نصوص جاءت من القسطنطينيّة. وهكذا كان تأثير الكودكس الاسكندراني والكودكس السينائيّ كبيرًا على عدد كبير من أسفار العهد القديم، ولا سيّما الحكمة وابن سيراخ. فنحن نقرأ في المخطوط ١٩٣ أتشمياتزين، الحاشية التالية: «تثبّتت هذه النسخة حسب مخطوطات اسكندرانيّة في أورشليم، وحسب رباعيّات أوريجانس». في الواقع، في سداسيات اوريجانس أو الهكسبلة (Hexaples) (في ستة عواميد). وقد تركت بصماتها مع اختلافات من أكيلا وسيماك وتيودوسيون، التي جُمعت في هامش الترجمة.

كانت ترجمة البيبليا الأرمنيّة نقطة انطلاق لنشاط أدبيّ كبير، تميّز بمؤلّفات كُتبت أصلاً في الأرمنيّة، وبأُخرى ترجمت من السريانيّة واليونانيّة. كلّ هذا ثبّت الديانة المسيحيّة ومتّنها، كما حوّل نفسيّة الأُمّة، فَوَعَتْ فرادتها الحضاريّة وإمكاناتها الروحيّة.

٢– المخطوطات الأرمنيّة وطبعاتها

المنابع الرئيسيّة للمخطوطات الأرمنيّة، نجدها في يرِڤانْ (أرمينيا)، وأورشليم، والبندقيّة (إيطاليا)، وڤيينا (النمسا). أمّا مجموعة يرِڤان فتمتلك أكبر عدد من المخطوطات، لكن مجموعة البندقيّة هي الأكثر تنوّعًا والأغنى على المستوى البيبليّ.

حسب اللوائح، أقدم مخطوطات الأناجيل (وهي على الرقّ) هي التي في موسكو (سنة ٨٨٧)، وقد صوّر تصويرًا، ومخطوط البندقيّة (القدّيس لعازر، الرقم ١١٤٤، سنة ٩٠١)، ومخطوط ارتزاخ في أرمينيا (سنة ٩٠٩)، وبليتمور، رقم ٥٢٧ (سنة ٩٦٠)، ولنيناكان في أرمينيا (سنة ٩٨٨)، والقدّيس لعازر، رقم ١٩٠ (القرن العاشر)، وأتشمياتزين ٢٢٩ (سنة ٩٨٩)، ويرِڤان، رقم ٢٠٨ (سنة ٩٩٢–٩٩٩)، والقدّيس لعازر، رقم ١٤٠٠ (القرن العاشر – الحادي عشر).

أمّا أقدم مخطوطات للمزامير فنجدها في البندقيّة، القدّيس لعازر، الأوّل، رقم ١٦٥١، كُتب على الرق، ويعود إلى القرن العاشر – الحادي عشر، والثاني، رقم ١٢٧١، على رقٍّ يعود إلى القرن الثاني عشر.

وأقدم الكتب المقدّسة نجدها أيضًا في البندقيّة، رقم ١٣١١، كُتب على ورق، ويعود إلى القرن الثاني عشر – الثالث عشر. رقم ٦٩٦، كُتب على الورق، ويعود إلى سنة ١٢٠١. وفي أورشليم، وُجدت نسخة ناقصة (رقم ١٤٨) كُتِبَت على الورق، وتعود إلى سنة ١٢١٤. والرقم ١٣١٢، البندقيّة، كُتب على ورق، ويعود إلى سنة ١٢٥٧. والرقم ٨٤١، ويعود إلى القرن الثالث عشر، وكُتب على الورق. أمّا الرقم ١١٥٩، فهو رقّ يعود إلى القرن الثالث عشر وكذلك الرقم ٣٧٦، كُتب على رقّ يعود إلى القرن الثالث عشر.

طُبع الكتاب المقدّس أوّل ما طُبع في أمستردام، سنة ١٦١٩. هي نسخة أوسكان، ولكنّها لم تكن طبعة نقديّة، بل انتقائيّة واعتباطيّة، بمعنى أنّ الناشر اختار من هذا المخطوط أو ذاك دون أن يقوم بدراسة المخطوطات. لم يقدّم أوسكان مخطوطه بأمانة، بل حوّل النصّ مرارًا ليتطابق مع الشعبيّة اللاتينيّة، غير أنّه احتفظ بعض المرّات بنصوص قديمة، ولا سيّما في سفر المزامير، وهذا ما يجعل العودة إلى هذه الطبعة مفيدة في بعض الأحيان. نشير إلى أنّ هذا النصّ أُعيد طبعه في القسطنطينيّة سنة ١٧٠٥.

سنة ١٧٣٣، قدّم الأب مخيتار، مؤسّس دير القدّيس لعازر، في البندقيّة، نسخة أفضل مطبوعة. ولكن تجاوز عملَه ما قام به زهراب الذي طبع البيبليا كلّها، سنة ١٨٠٥، فاستند إلى عدد أكبر غير أنّ النسخة لم تكن نقديّة بالقدر المطلوب. ما ذكر زهراب الاختلافات في المخطوطات، بل اكتفى بإشارات غامضة. ومع ذلك، فجميع الطبعات اللاحقة ارتبطت بطبعة زهراب التي صارت بعد ذلك أداة لا يُستغنى عنها. فطبعة باغراتوني التي صدرت في البندقيّة سنة ١٨٦٠ هي نسخة زهراب بدون الحواشي. وكذلك طبعة القسطنطينيّة التي ظهرت سنة ١٨٩٥.

نشير هنا إلى طبعات العهد الجديد في أمستردام، وكان آخرها سنة ١٨١٦، وفي البندقيّة سنة ١٧١٠، ١٧٢٠، ١٧٤٠... وظهرت طبعة في سان بترسبورغ، سنة ١٨١٤، وفي القسطنطينيّة سنة ١٨٢٣، وفي إزمير سنة ١٨٣٨، وفي ڤيينا سنة ١٨٥٧، وفي لندن سنة ١٨٥٩، وفي البندقيّة سنة ١٨٦٣ و١٨٦٦، وفي أورشليم سنة ١٨٦٧-١٨٦٨، وفي القسطنطينيّة سنة ١٨٧٥، ١٨٨٤، ١٨٩١، ١٨٩٦. ونُشرت أسفار من العهد القديم بشكل منفصل: سفر الأمثال، في البندقيّة (١٧٣٤)، في القسطنطينيّة (١٨٠٦)، في إزمير (١٨٥٢)، في القسطنطينيّة (١٨٨٠، ١٨٨٢، ١٨٩٢، ١٨٩٧). ونُشرت في تریاستا (١٨٠٢) أسفار الأمثال والحكمة والجامعة، وفي البندقيّة (١٨٣٣) ابن سيراخ ورسالة إرميا، ثمّ سفر الحكمة (١٨٢٧، ١٨٥٤). وطبع ميشال بربوني الأناجيل وحدها، في البندقيّة، سنة ١٦٨٠ و١٦٨٥. كما نُشر عددٌ من المخطوطات في صورة طبق الأصل، مثل المخطوط ٢٢٩، في أتشمياتزين، في باريس سنة ١٩٢٠. نشير هنا إلى أنّ جمعيّات الكتاب المقدّس تهيِّء ترجمة جديدة للبيبليا في الأرمنيّة. طبعت العهد الجديد، وستنهي قريبًا العهد القديم.

٣- علاقة الترجمة الأرمنيّة بسائر الترجمات

ذكرنا عددًا من المخطوطات والطبعات، فتوخّينا أن ندلّ على اهتمام الكنيسة الأرمنيّة بالكتاب المقدّس. وسيكون لنا في موضع آخر أن نقدّم ترجمة سفر التكوين بشكل موسّع، بحيث نقدّم مثلاً حيًّا يتجاوز التكرار المملّ. أمّا الآن، فنودّ أن نحدّد أصل الترجمة الأرمنيّة. هل تأسّست على السريانيّة أم على اليونانيّة؟

انقسم الباحثون بين موقف وآخر. فبعضهم اعتبر أن الأساس يونانيّ. ولكن العدد الأكبر، بمن فيهم العلماء الأرمن، يربطون الترجمة الأرمنيّة بالعالَم السريانيّ. فلا شكّ في تأثير السريانيّة، بشكل خاص، على الأناجيل وأعمال الرسل. والتأثير واضح أيضًا في سفريّ الأخبار، ومعقول بالنسبة إلى سائر الأسفار، بسبب العلاقات الوثيقة بين الكنيسة الأرمنيّة في بداياتها، والكنيسة السريانيّة؛ فهذه الكنيسة أثّرت على الليتورجيّا الأرمنيّة، وعلى المؤسّسات الرهبانيّة، واللغة والألفاظ المستعملة لدى الكتّاب والمترجمين القدماء. فالأمر واضح بشكل خاص في النسخة الأرمنيّة لتفسير افرام للدياتّسارون. فهناك استشهادات من العهد القديم لا تُفهم إلاّ عبر النسخة السريانيّة. فالمترجم الأرمنيّ حوّل مضمون الاستشهادات بتأثير من الترجمة الأرمنيّة الأولى، وإن هو راعى هذه الاستشهادات، فلأن مضمونها وافق الترجمة الأولى. وكيف نفهم وجود رسالة القدّيس بولس الثالثة إلى كورنتوس، في الترجمة الأرمنيّة الأولى؟ لا نجد هذه الرسالة في اليونانيّة، بل في السريانيّة.

نُعطي بعض الأمثلة البسيطة: تفضّل النسخة الأرمنيّة الأولى الجملة على اسم الفاعل، وتجعل الضمير بعد الفعل، وتضيف ما يقابل «مِدِم» («شيء») في السريانيّة) أو «د» (اسم الموصول، «الذي»)، أو علامة المضاف) قبل الاستشهادات. تحدّث العالِم اليوناني عن مصر، أمّا العالِم السرياني فعن أرض المصريّين، ومثله فعلت الأرمنيّة. وتحدّثت السريانيّة عن نهر الأردن، لا عن الأردن فقط (مثل اليونانيّة)، فتبعتها النسخة الأرمنيّة. وهناك عدد من أسماء العلم وأسماء الأماكن كُتبت حسب الشكل السرياني، لا الشكل اليوناني، هذا عدا الخلط بين صيغة الجمع وصيغة المفرد، لا سيّما وأن علامة الجمع في السريانيّة هي نقطتان غابتا مرارًا من المخطوطات.

وناقش البحّاثة نشيد الأناشيد، فاستخلصوا أنّ النسخة الأولى بدأت من السريانيّة، ثمّ عادت إلى اليونانيّة. والسبب في ذلك، هو أنّ أميرًا جاحدًا اسمه مرويان، أمر بحرق جميع الكتب اليونانيّة في أرمينيا، كما منع تعلّم اللغة اليونانيّة، في المنطقة الخاضعة لسيطرته. حينئذٍ عاد ساحاق إلى السريانيّة. ولما تبدّلت الظروف، تواصلت الترجمة على أساس اللغة اليونانيّة.

ووُجدت نسختان أرمنيّتان لابن سيراخ، الأولى طبعها زهراب كملحق في البيبليا؛ تركت هذه النسخة مديح الآباء،

فتوقّفت عند ف ٤٣؛ بعد ٢٤: ٣٠، يتبدّل الترقيم، وهذا ما يستبعد النقل عن النسخة اليونانيّة. وما نلاحظه بشكل خاص، هو أن المترجم لَم يتبع حرفيّة النصّ اليونانيّ أو السريانيّ، بل أوجزهما، وضمّ في آية واحدة ما قرأ في عدّة آيات. قد نكون هنا أمام الطريقة التي بها تُرجمت البيبليا للمرّة الأولى. أمّا النسخة الثانية التي نشرها باغراتوني، في البيبليا، فتعود بلا شكّ إلى اليونانيّة، كما تحتفظ بعناصر مأخوذة من النسخة الأولى.

ونسخة الأناجيل الأولى في الأرمنيّة، استندت إلى السريانيّة العتيقة كما نقرأها في نسخة كيورتون أو نسخة سيناء. وبيّن بعضهم أن هذه النسخة الأولى كانت في الواقع، دياتسارون، أو إنجيل واحد في أربعة. ولكن جاء من يقول إنّ النسخة الأرمنيّة تَمَّتْ ساعة لَم يعد للدياتسارون سلطة رسميّة. غير أن الواقع يقول بوجود آثار للدياتسارون في الأدب الأرمني، خلال القرن الخامس. ولكن سواء عاد المترجم الأوّل إلى الدياتسارون إو إلى الأناجيل الأربعة المنفصلة، فالتأثير السرياني واضح في النسخة الأولى للأناجيل في الأرمنيّة.

أمّا النسخة الثانية للأناجيل فتستند بلا شكّ إلى النصّ اليوناني، الذي وُجد في قيصريّة فلسطين. غير أنّنا أمام إعادة نظر في النسخة الأولى، على ضوء المخطوطات اليونانيّة التي وصلت فيما بعد إلى أرمينيا. لهذا احتفظت النسخة الثانية بعدد من العناصر من النسخة الأولى. ونستطيع القول عينه عن سائر الأسفار المقدّسة: احتفظت بعناصر من النسخة الأولى، وتمّ التحوّل بشكل تدريجي، بقدر اقتراب الكنيسة الأرمنيّة اقترابًا متزايدًا من كنيسة إنطاكية، وذلك بعد أن خفّ بريق الكنيسة السريانيّة في الرها ونصيبين، على أثر الحروب الفارسيّة والبيزنطيّة في القرنين الرابع والخامس.

ماذا نقول في هذه الترجمة؟ تحدّث بعضهم عن الدقّة في العمل والمهارة، وتأمّلوا في هؤلاء اللاهوتيّين الواعين الذين طلبوا أدقّ التفاصيل في الأصل. وهكذا سُمِّيَت الترجمة الأرمنيّة «ملكة الترجمات» بسبب أمانتها الواعية للأصل ومنزلتها الأدبيّة الرفيعة. ولكن يرى آخرون أن هناك عددًا من التشويهات التي جعلت المترجم يبتعد عن النصّ الأصليّ، بحيث تغيب القيمة النقديّة للنصّ الأرمني تجاه القبطي، مثلاً، أو السرياني والحبشيّ. ومع ذلك، كما كانت الترجمة السريانيّة في أساس الترجمة الأرمنيّة الأولى، كذلك كانت الترجمة الأرمنيّة في أساس الترجمة الجيورجيّة الأولى. وكما عادت الأرمنيّة إلى اليونانيّة في نسخة محسّنة، كذلك فعلت الجيورجيّة التي تأثّرت كنيستها بالكنيسة الأرمنيّة وارتبطت بها في بدايتها، قبل أن تتأثّر ببيزنطيّة.

خاتمة

الأدب الأرمني، شأنه شأن الأدب السرياني، دينيّ في أكثريّته. فبعد اهتداء أرمينيا كلّها، بحيث صارت أوّل بلاد مسيحيّة بملكها، راحت تترجم كتابات الآباء، وتدوّن المؤلّفات من أجل حاجات المؤمنين. فهل نعجب بعد ذلك، أن تكون البداية مع الكتاب المقدّس الذي هو ينبوع اللاهوت والحياة الروحيّة والنسكيّة؟! فمن أجله استُنبطت أبجديّة دوّنت أوّل ما دوّنت سفر الأمثال، بانتظار أن تدوّن الأسفار الكتابيّة كلّها.

مراجع:

NERESSIAN, V. N., A *Bibliography of Articles on Armenian Studies in Western Journals*, Richmond, 1917.

RENOUX, Ch., «Langue et littérature arméniennes», dans M. ALBERT et al., *Christianismes Orientaux*, Paris, 1993, pp. 107-166.

THOMSON, R.W., *A Bibliography of Classical Armenian Literature to 1500 AD*, Turnhout 1995.

GARSOIAN, N. G., L'Église arménienne et le grand schisme d'Orient (CSCO, subsidia 100), Louvain, 1998.

MAHE, J. P., «L'Église arménienne de 615 à 1066», dans J. M. MAYEUR et al., *Histoire du Christianisme*, tome II, Paris, 1993, pp. 457-547.

Id, «Traduction et exégèse. Reflexions sur l'exemple arménien», dans *Mélanges Antoine Guillaumont* (Cahiers d'orientalisme, 20), Genève, 1988, pp. 243-255.

METZGER, B., *The Early Versions of the New Testement*, Oxford, 1997, pp. 153-181.

OUTTIER, B., «La version arménienne du Commentaire des Psaumes de Théodoret. Premier bilan», *Revue des Études Arméniennes* 12 (1977) pp. 169-180; «Nouveaux témoins de la tradition directe», *ibid* 17 (1983), pp. 241-248.

LYONNET, S., *Les origines de la version arménienne et le Diatessaron* (Biblica et Orientalia 13) Rome, 1950.

LELOIR, L., «La version arménienne du Nouveau Testament», K. ALAND (éd.), *Die alten Übersetzungen des Neuen Testaments, die Kirchenväterzitate und Lektionare* (Arbeiten zur neutestamentlichen Textforchung 5) Berlin, New-York, 1972, pp. 300-313.

PEETERS,P., «Pour l'histoire des origines de l'alphabet arménien», *Revue des Études Arméniennes* 9 (1929) pp. 203-237.

فتوقّفت عند ف ٤٣؛ بعد ٢٤: ٣٠، يتبدّل الترقيم، وهذا ما يستبعد النقل عن النسخة اليونانيّة. وما نلاحظه بشكل خاص، هو أن المترجم لَم يتبع حرفيّة النصّ اليونانيّ أو السريانيّ، بل أوجزهما، وضمّ في آية واحدة ما قرأ في عدّة آيات. قد نكون هنا أمام الطريقة التي بها تُرجمت البيبليا للمرّة الأولى. أمّا النسخة الثانية التي نشرها باغراتوني، في البيبليا، فتعود بلا شكّ إلى اليونانيّة، كما تحتفظ بعناصر مأخوذة من النسخة الأولى.

ونسخة الأناجيل الأولى في الأرمنيّة، استندت إلى السريانيّة العتيقة كما نقرأها في نسخة كيورتون أو نسخة سيناء. وبيّن بعضهم أن هذه النسخة الأولى كانت في الواقع، دياتسارون، أو إنجيل واحد في أربعة. ولكن جاء من يقول إنّ النسخة الأرمنيّة تَمَّتْ ساعة لَم يعد للدياتسارون سلطة رسميّة. غير أن الواقع يقول بوجود آثار للدياتسارون في الأدب الأرمني، خلال القرن الخامس. ولكن سواء عاد المترجم الأوّل إلى الدياتسارون إو إلى الأناجيل الأربعة المنفصلة، فالتأثير السرياني واضح في النسخة الأولى للأناجيل في الأرمنيّة.

أمّا النسخة الثانية للأناجيل فتستند بلا شكّ إلى النصّ اليوناني، الذي وُجد في قيصريّة فلسطين. غير أنّنا أمام إعادة نظر في النسخة الأولى، على ضوء المخطوطات اليونانيّة التي وصلت فيما بعد إلى أرمينيا. لهذا احتفظت النسخة الثانية بعدد من العناصر من النسخة الأولى. ونستطيع القول عينه عن سائر الأسفار المقدّسة: احتفظت بعناصر من النسخة الأولى، وتمّ التحوّل بشكل تدريجي، بقدر اقتراب الكنيسة الأرمنيّة اقترابًا متزايدًا من كنيسة إنطاكية، وذلك بعد أن خفّ بريق الكنيسة السريانيّة في الرها ونصيبين، على أثر الحروب الفارسيّة والبيزنطيّة في القرنين الرابع والخامس.

ماذا نقول في هذه الترجمة؟ تحدّث بعضهم عن الدقّة في العمل والمهارة، وتأمّلوا في هؤلاء اللاهوتيّين الواعين الذين طلبوا أدقّ التفاصيل في الأصل. وهكذا سُمِّيَت الترجمة الأرمنيّة «ملكة الترجمات» بسبب أمانتها الواعية للأصل ومنزلتها الأدبيّة الرفيعة. ولكن يرى آخرون أن هناك عددًا من التشويهات التي جعلت المترجم يبتعد عن النصّ الأصليّ، بحيث تغيب القيمة النقديّة للنصّ الأرمني تجاه القبطي، مثلاً، أو السرياني والحبشيّ. ومع ذلك، كما كانت الترجمة السريانيّة في أساس الترجمة الأرمنيّة الأولى، كذلك كانت الترجمة الأرمنيّة في أساس الترجمة الجيورجيّة الأولى. وكما عادت الأرمنيّة إلى اليونانيّة في نسخة محسّنة، كذلك فعلت الجيورجيّة التي تأثّرت كنيستها بالكنيسة الأرمنيّة وارتبطت بها في بدايتها، قبل أن تتأثّر ببيزنطيّة.

خاتمة

الأدب الأرمني، شأنه شأن الأدب السرياني، دينيّ في أكثريّته. فبعد اهتداء أرمينيا كلّها، بحيث صارت أوّل بلاد مسيحيّة بملكها، راحت تترجم كتابات الآباء، وتدوّن المؤلّفات من أجل حاجات المؤمنين. فهل نعجب بعد ذلك، أن تكون البداية مع الكتاب المقدّس الذي هو ينبوع اللاهوت والحياة الروحيّة والنسكيّة؟! فمن أجله استُنبطت أبجديّة دوّنت أوّل ما دوّنت سفر الأمثال، بانتظار أن تدوّن الأسفار الكتابيّة كلّها.

مراجع:

NERESSIAN, V. N., A *Bibliography of Articles on Armenian Studies in Western Journals*, Richmond, 1917.

RENOUX, Ch., «Langue et littérature arméniennes», dans M. ALBERT et al., *Christianismes Orientaux*, Paris, 1993, pp. 107-166.

THOMSON, R.W., *A Bibliography of Classical Armenian Literature to 1500 AD*, Turnhout 1995.

GARSOIAN, N. G., L'Église arménienne et le grand schisme d'Orient (CSCO, subsidia 100), Louvain, 1998.

MAHE, J. P., «L'Église arménienne de 615 à 1066», dans J. M. MAYEUR et al., *Histoire du Christianisme*, tome II, Paris, 1993, pp. 457-547.

Id, «Traduction et exégèse. Reflexions sur l'exemple arménien», dans *Mélanges Antoine Guillaumont* (Cahiers d'orientalisme, 20), Genève, 1988, pp. 243-255.

METZGER, B., *The Early Versions of the New Testement*, Oxford, 1997, pp. 153-181.

OUTTIER, B., «La version arménienne du Commentaire des Psaumes de Théodoret. Premier bilan», *Revue des Études Arméniennes* 12 (1977) pp. 169-180; «Nouveaux témoins de la tradition directe», *ibid* 17 (1983), pp. 241-248.

LYONNET, S., *Les origines de la version arménienne et le Diatessaron* (Biblica et Orientalia 13) Rome, 1950.

LELOIR, L., «La version arménienne du Nouveau Testament», K. ALAND (éd.), *Die alten Übersetzungen des Neuen Testaments, die Kirchenväterzitate und Lektionare* (Arbeiten zur neutestamentlichen Textforchung 5) Berlin, New-York, 1972, pp. 300-313.

PEETERS,P., «Pour l'histoire des origines de l'alphabet arménien», *Revue des Études Arméniennes* 9 (1929) pp. 203-237.

ترجمة ١٨٥٣ للكتاب المقدّس والكنيسة الأرمنيّة الإنجيليّة

القس د. پول هايدوستيان

أستاذ اللاهوت الرعوي، كلّيّة اللاهوت للشرق الأدنى

يتزامن تنشيط ترجمات الكتاب المقدّس إلى اللغة الأرمنيّة العامّيّة في النصف الأوّل من القرن التاسع عشر مع تطوّرات متعدّدة ومتشابكة في المجتمع الأرمني في مدينة إسطنبول، أو القسطنطينيّة آنذاك، خاصّة أنّ الكتاب المقدّس المتوفّر كان بالأرمنيّة الكلاسيكيّة الغنيّة ولكن غير المفهومة من قِبَل الأكثريّة. ومن أهمّ تلك التطوّرات نذكر:

١- ولادة **حركات إصلاحيّة** تقَويّة داخل الكنيسة الأرمنيّة الارثوذكسيّة. والبارز في لائحة هذه الحركات هي «جمعيّة التقوى» (Society of Piety) والتي تأسّست في سنة ١٨٣٦ تحت إدارة كريكور بيشتيمالجيان (Krikor Peshtimaljian). ولقد كانت هذه الجمعيّة بدورها خليفة الأكاديميّة البطريركيّة التابعة لبطريركيّة الأرمن في إسطنبول. ومن ميزات «جمعيّة التقوى» نذكر تشديدها على دور الكتاب المقدّس الأساسي في حياة الكنيسة، ودعوتها الكنيسة لاكتشاف متجدّد لذاك الدور، ممّا سيؤدّي إلى عودة المسيحيّة الأرمنيّة إلى نقاوة إيمانها.

٢- عمل **الإرساليّات البروتستانتيّة** الأميركيّة والأوروبيّة في الشرق الأدنى، والتي بدأت في العشرينات من القرن التاسع عشر. بما يخصّ المجتمع الأرمني نذكر أنّه في سنة ١٨٢٩ قرّرت الجمعيّات الإرساليّة إيفاد مرسلين إلى تركيّا. وهكذا وفي سنة ١٨٣١ وصل القسّ وليام غوديل (William Goodell) إلى إسطنبول وباشر بتأسيس الوجود الإرسالي في المدينة ومن ثمّ في أنحاء مختلفة من البلاد. وفي السنوات والعقود التي توالت تكثّفت النشاطات الإرساليّة ونشأت مؤسّسات لها، وذلك بعد الاستجابة النسبيّة لعمل المرسلين من قبل شرائح متعدّدة في المجتمع الأرمني. والجدير بالذكر هو أنّه في المراحل المبكّرة من العمل الإرساليّ كانت نشاطات وخدمات هؤلاء المبشّرين والمعلّمين المرسلين تحظى أيضًا باستحسان البطريركيّة الأرمنيّة في إسطنبول والعديد من رجال الدين فيها.

٣- وأمّا الحدث الهامّ والناجم عن التطوّرات والنشاطات المذكورة أعلاه فهو **ولادة الكنيسة الأرمنيّة الإنجيليّة** في سنة ١٨٤٦ في إسطنبول، وذلك في أحضان الكنيسة الأرمنيّة الارثوذكسيّة. والملفت هو الانتشار الواسع لهذه الكنيسة الفتيّة في أنحاء تركيا المقطونة من قِبَل الأرمن، وكذلك في بلاد أرمينيا، بحيث تأسّست عشرون رعيّة في السنوات الأولى، وذلك ابتداءً في إسطنبول التركيّة وانتهاءً في كسب السورية. وقد استمرّ الانتشار بشكل متواصل إلى حين اقتراف الدولة العثمانيّة المجازر الأرمنيّة خلال الحرب العالميّة الأولى بحيث استشهد قسم كبير من الشعب المؤمن وهجّر القسم المتبقّي.

وأمّا العامل المحوري الذي دارت حوله كل هذه التطوّرات فهو نشاطات ترجمة وطبع ونشر وقراءة ودراسة الكتاب المقدّس باللغة الأرمنيّة العامّية الحديثة والتي أثمرت ترجمة شهيرة وإنجازًا أدبيًّا وروحيًّا في إزمير في سنة ١٨٥٣، حين صدرت في الأرمنيّة الغربيّة الحديثة ترجمة كاملة للكتاب المقدّس.

فالحركات الإصلاحيّة في الكنيسة الأرمنيّة الأرثوذكسيّة وجدت في الأدب البيبليّ المترجم والموزّع وفي إعادة التركيز على الكتاب المقدّس المتوفّر والمقروء والمفهوم بسهولة غذاءً حقيقيًّا لها. والإرساليّات البروتستانتيّة وجدت في المناشير والكرّاسات والمطبوعات المتعلّقة

ترجمة ١٨٥٣ للكتاب المقدّس والكنيسة الأرمنيّة الإنجيليّة

القس د. پول هايدوستيان

أستاذ اللاهوت الرعوي، كلّيّة اللاهوت للشرق الأدنى

يتزامن تنشيط ترجمات الكتاب المقدّس إلى اللغة الأرمنيّة العامّيّة في النصف الأوّل من القرن التاسع عشر مع تطوّرات متعدّدة ومتشابكة في المجتمع الأرمني في مدينة إسطنبول، أو القسطنطينيّة آنذاك، خاصّة أنّ الكتاب المقدّس المتوفّر كان بالأرمنيّة الكلاسيكيّة الغنيّة ولكن غير المفهومة من قِبَل الأكثريّة. ومن أهمّ تلك التطوّرات نذكر:

١- ولادة **حركات إصلاحيّة** تقَويّة داخل الكنيسة الأرمنيّة الارثوذكسيّة. والبارز في لائحة هذه الحركات هي «جمعيّة التقوى» (Society of Piety) والتي تأسّست في سنة ١٨٣٦ تحت إدارة كريكور بيشتيمالجيان (Krikor Peshtimaljian). ولقد كانت هذه الجمعيّة بدورها خليفة الأكاديميّة البطريركيّة التابعة لبطريركيّة الأرمن في إسطنبول. ومن ميزات «جمعيّة التقوى» نذكر تشديدها على دور الكتاب المقدّس الأساسي في حياة الكنيسة، ودعوتها الكنيسة لاكتشاف متجدّد لذاك الدور، ممّا سيؤدّي إلى عودة المسيحيّة الأرمنيّة إلى نقاوة إيمانها.

٢- عمل **الإرساليّات البروتستانتيّة** الأميركيّة والأوروبيّة في الشرق الأدنى، والتي بدأت في العشرينات من القرن التاسع عشر. بما يخصّ المجتمع الأرمني نذكر أنّه في سنة ١٨٢٩ قرّرت الجمعيّات الإرساليّة إيفاد مرسلين إلى تركيّا. وهكذا وفي سنة ١٨٣١ وصل القسّ وليام غوديل (William Goodell) إلى إسطنبول وباشر بتأسيس الوجود الإرسالي في المدينة ومن ثمّ في أنحاء مختلفة من البلاد. وفي السنوات والعقود التي توالت تكثّفت النشاطات الإرساليّة ونشأت مؤسّسات لها، وذلك بعد الاستجابة النسبيّة لعمل المرسلين من قبل شرائح متعدّدة في المجتمع الأرمني. والجدير بالذكر هو أنّه في المراحل المبكّرة من العمل الإرساليّ كانت نشاطات وخدمات هؤلاء المبشّرين والمعلّمين المرسلين تحظى أيضًا باستحسان البطريركيّة الأرمنيّة في إسطنبول والعديد من رجال الدين فيها.

٣- وأمّا الحدث الهامّ والناجم عن التطوّرات والنشاطات المذكورة أعلاه فهو **ولادة الكنيسة الأرمنيّة الإنجيليّة** في سنة ١٨٤٦ في إسطنبول، وذلك في أحضان الكنيسة الأرمنيّة الارثوذكسيّة. والملفت هو الانتشار الواسع لهذه الكنيسة الفتيّة في أنحاء تركيا المقطونة من قِبَل الأرمن، وكذلك في بلاد أرمينيا، بحيث تأسّست عشرون رعيّة في السنوات الأولى، وذلك ابتداءً في إسطنبول التركيّة وانتهاءً في كسب السورية. وقد استمرّ الانتشار بشكل متواصل إلى حين اقتراف الدولة العثمانيّة المجازر الأرمنيّة خلال الحرب العالميّة الأولى بحيث استشهد قسم كبير من الشعب المؤمن وهجّر القسم المتبقّي.

وأمّا العامل المحوري الذي دارت حوله كل هذه التطوّرات فهو نشاطات ترجمة وطبع ونشر وقراءة ودراسة الكتاب المقدّس باللغة الأرمنيّة العامّية الحديثة والتي أثمرت ترجمة شهيرة وإنجازًا أدبيًّا وروحيًّا في إزمير في سنة ١٨٥٣، حين صدرت في الأرمنيّة الغربيّة الحديثة ترجمة كاملة للكتاب المقدّس.

فالحركات الإصلاحيّة في الكنيسة الأرمنيّة الأرثوذكسيّة وجدت في الأدب البيبليّ المترجم والموزّع وفي إعادة التركيز على الكتاب المقدّس المتوفّر والمقروء والمفهوم بسهولة غذاءً حقيقيًّا لها. والإرساليّات البروتستانتيّة وجدت في المناشير والكرّاسات والمطبوعات المتعلّقة

بالكتاب المقدّس مدخلاً شرعيًّا لها إلى قلوب المجتمعات والعائلات المؤمنة الملتزمة وغير الملتزمة أيضًا. والكنيسة الأرمنيّة الإنجيليّة تأسّست ونمت بواسطة علمانيّين وشمامسة ورجال دين درسوا الكتاب المقدّس فرديًّا وجماعيًّا، وقرأوه في لغة عامّيّة واضحة وتعلّقوا أشدّ التعلّق بكتاب الحياة هذا، واعتبروا أنّهم تحرّروا من دون عودة من ملكيّة الكنيسة المطلقة لمحتوى وغنى الكتاب المقدّس المحصورة بالكنيسة والكهنة سابقًا.

وأمّا جمعيّات الكتاب المقدّس التي اهتمّت بترجمة وطبع الكتاب المقدّس ووضعه في متناول المجتمعات الأرمنيّة، فكانت تلك الموجودة في روسيا وإنكلترا والولايات المتّحدة الأميركيّة.

جمعيّة الكتاب المقدّس الروسيّة

باشرت في سنة ١٨٢٢ بنشر طبعة تركيّة للعهد الجديد مكتوبة بالأحرف الأرمنيّة، وذلك لتسهيل قراءة الأناجيل والرسائل من قبل أولئك المؤمنين الأرمن القاطنين في القرى والبلدات النائية المختلفة والذين كانوا ينطقون باللغة التركيّة، ولكنّهم يحسنون قراءة الأحرف الأرمنيّة أو هم على استعداد لتعلّمها؛ وقد كرّرت جمعيّات أخرى في إنكلترا وأميركا الخبرة الروسيّة، فأنتجت أدبًا بيبليًّا باللغة التركيّة والأحرف الأرمنيّة، وذلك امتدادًا إلى القرن العشرين.

جمعيّة الكتاب المقدّس الإنكليزيّة

بدأت عملها في طبع الكتاب المقدّس في اللغة الأرمنيّة في سنة ١٨١٣، حين قامت بطباعة ألفي نسخة من الكتاب المقدّس في اللغة الكلاسيكيّة (كرابار). والجمعيّة ذاتها شجّعت المترجم المخيتاريست الأب أوهانس زوهرابيان على ترجمة أجزاء من العهد القديم من اللغة الأرمنيّة الكلاسيكيّة إلى العامّيّة، وذلك في سنة ١٨٢١، بعد أن كان قد ترجم العهد الجديد بأكمله. هذا وقد طبعت الجمعيّة ترجمة العهد الجديد تلك في سنة ١٨٢٥ في باريس، وكانت صفحاتها تحتوي على النص في اللغة الكلاسيكيّة بموازاة الترجمة إلى العامّيّة. وأمّا ترجمة زوهرابيان للعهد القديم فلم تكتمل بسبب وفاته.

ولكن أهمّ الجمعيّات كانت **جمعيّة الكتاب المقدّس الأميركيّة**، والتي تأسّست في سنة ١٨٣٩ إثر اتحاد ما يزيد على ثلاثين جمعيّة في أنحاء مختلفة من الولايات المتّحدة الأميركيّة. فقد باشرت هذه الجمعيّة بعمل جبّار ومحترف، ألا وهو ترجمة الكتاب المقدّس بأجمله من اللغات الأصليّة العبرانيّة واليونانيّة إلى اللغة الأرمنيّة العامّيّة، المسمّاة اللغة الأرمنيّة الغربيّة. وقد اشترك في هذا العمل المترجم المحترف الدكتور الياس ريغز (Elias Riggs) الأميركي، والذي بدأ عمل الترجمة في سنة ١٨٣٨، بعد أن تتلمذ في الأرمنيّة على يد أستاذ القواعد الأرمنيّة الغربيّة القسّ مكرديتش كيراتشيان (Mgrditch Kiretchian)، وساعد في الترجمة اندرياس بابازيان (Andreas Papazian) وافيديس ديرسهاكيان (Avedis Der-Sahagian) وسينكريم ديرميناسيان (Senekerim Der-Menassian). ومن الأصول المتّبعة والمميّزة في هذه الترجمة نذكر الأمانة للّغات الأصليّات والتدقيق فيها، ثم المحافظة على أسماء الأشخاص والأنهر والكائنات السماويّة وغيرها بتسمياتها في الترجمة الكلاسيكيّة الأرمنيّة. وقد كانت تمرّ الترجمة بمراحل عدّة؛ فالمرحلة الأولى كانت وظيفة المترجمين الأرمن، والثانية هي مراجعة الدكتور ريغز، والثالثة تدقيق علماء لغة أرمن، والرابعة المراجعة الأخيرة لريغز.

لقد اكتملت الترجمة في سنة ١٨٥٣ وصدرت عن مطبعة غريفيث (Griffith) الإرساليّة في مدينة إزمير. وكان قد سبق الطباعة الكاملة صدور طبعات مجزّأة للعهد القديم بين ١٨٤٧ و١٨٥٠ من المطبعة نفسها.

اكتسبت ترجمة سنة ١٨٥٣ أهمّيّة كبرى عند الكنيسة الأرمنيّة الإنجيليّة وفي الأوساط الدينيّة والثقافيّة والأدبيّة الأرمنيّة عامّة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد أعطت هذه الترجمة فرصة ذهبيّة للكنيسة الأرمنيّة الإنجيليّة للاستعمال الليتورجي والكرازة بالإنجيل والدعوة إلى درس الكتاب المقدّس أينما كان وتوزيعه على المؤمنين، وكل هذه بلغة واحدة واضحة ومفهومة، ما لم يكن ممكنًا حتى ذلك الحين.

ومن جهة أخرى، فقد ساهمت هذه الترجمة مساهمة فعّالة في تطوير اللغة الأرمنيّة العامّيّة بشكلها المكتوب، ورفعت مستواها.

ولـلأسباب المذكورة أعلاه وبسبب الشهرة التي اكتسبتها حينئذ، أعيد طباعة ترجمة ١٨٥٣ باستمرار ودونما تغيير أو تطوير حتى سنة ١٩٨١، عندما نقّحت اللغة وتَمَّ تحديث بعض التعابير فيها. وقد قام بهذا العمل السيّد بنيامين جامكوتشيان والقسّ مانويل جينباشيان في بيروت.

مراجع:

BURCHARD Christophe (Editor), *Armenia and the Bible* (Atlanta: Scholars Press, 1993).

CHOPOURIAN Giragos. *The Armenian Evangelical Reformation: Causes and Effects* (new York: AMAA, 1972).

لمحة تاريخيّة عن ترجمة الكتاب المقدّس (بالأرمنيّة)، صادرة في نيويورك من جمعيّة المرسلين الأرمن في أميركا بمناسبة اليوبيل المئوي لترجمة ١٨٥٣.

نَعِمَ الكتاب المقدّس في الكنيسة الأرمنيّة أبداً بالإكرام الكبير، نسخاً، وترجمةً، ورسوماً

(مخطوط للإنجيل من القرن الثالث عشر (١٢٥١)؛ يِرِڤَان، مَاتِنَادَارَان)

تفسير المزامير لغريغوار تاتِڤاتسي

(مخطوط من القرن الخامس عشر؛ يِرِڤَان، مَاتِنَادَارَان)

نَعِمَ الكتاب المقدّس في الكنيسة الأرمنيّة أبداً بالإكرام الكبير، نسخاً، وترجمةً، ورسوماً

(مخطوط للإنجيل من القرن الثالث عشر (١٢٥١)؛ يِرِڤَان، مَاتِنَادَارَان)

تفسير المزامير لغريغوار تاتِڤاتسي

(مخطوط من القرن الخامس عشر؛ يِرِڤَان، مَاتِنَادَارَان)

غريغوريوس دي ناريك
قدّيس مشبع من البيبليا

أ. ساحاق كشيشيان •

مار غريغوريوس المنوّر:
لا بُدَّ وأنّه قرأ كتابات غريغوريوس دي ناريك، وتأمّل فيها، وغرف من كنوزها، حتّى صار كسلفه العظيم منوَّراً ومنوّراً.
(زيتيّة من القرن التاسع عشر، محفوظة في دير مار أنطونيوس البادواني التابع للرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة، غزير، لبنان)

آ– حياته

إن كنيسة أرمينيا التي تحتفل هذه السنة بذكرى العام ١٧٠٠ لارتدادها الى المسيحيّة (٣٠١–٢٠٠١)، أنجبت عددًا كبيرًا من القدّيسين والشهداء حبًّا بالمسيح.

من هؤلاء القدّيسين غريغوريوس دي ناريك الذي عُرف بإشعاعات حياته وكتاباته. إنّه شبيه بالقدّيس شربل، فضلاً عن كونه مؤلّفًا. في العام ٢٠٠٢ تقع الذكرى الألفيّة لمؤلّفه «كتاب الصلاة» الذي وضعه من أجل مسيحيي العالم أجمع.

وُلد غريغوريوس نحو ٩٤٤ وانتقل إلى ربّه نحو ١٠١٠. كانت ولادته في إقليم فاسبورا في مقاطعة أَنْتْسِفَتْسِيك (Antsévatsik) في أرمينيا، منطقة بحيرة فان.

كان والد غريغوريوس، غوسروف الكبير (+ نحو ٤٦٥)، شخصًا هامًّا، مثقّفًا، غيورًا، شجاعًا، بالغ التقوى. بعد وفاة زوجته اعتنق الحياة الإكليريكيّة وأصبح مطرانًا على أَنْتْسِفَتْسِيك. كَتَبَ بحثَين بغية إلقاء الضوء على إيمان أبناء رعيّته: «شرح صلوات القدّاس» و«تفسير للصلاة التي تتلى في الكنيسة».

كانت أم غريغوريوس ابنة أخ حننيّا، رئيس دير ناريك، جنوبي بحيرة فان، على بعد ٤ كيلومترات. توفّيت قبل العام ٩٥٠، تاركة ثلاثة أبناء يتامى: اسحق، وجان وغريغوريوس.

خوسروف وَكَلَ الولدَين الأصغرَين، جان وغريغوريوس، إلى رئيس دير ناريك، حننيّا، الملقّب «بالفيلسوف»، الذي كان

• كتب الأب ساحاق كشيشيان مقاله هذا خصّيصاً لـ «مجلّة بيبليا» في ٢٠٠١/١١/٢٦، ونقله إلى العربيّة الأستاذ أمين مرعي.

يتمتّع بشهرة واسعة في العلم والقداسة. وفَّر حنينًا لابنَي ابنة اخيه تنشئة أصيلة في العلم والأدب واللغة والفلسفة واللاهوت والكتاب المقدّس والدين.

نذر غريغوريوس نذوره ورُسم كاهنًا، وأصبح بدوره أستاذًا ومعلّمًا لإكليريكيّين آخرين في الدير. عاش حياة تواضع ومحبّة وأمضى وقته بين العمل (الكثير من المطالعات والتأليف) والصلاة يحرّكه حُبّ حار للمسيح وللعذراء. وكان يخصّ العذراء بحب خاص كونه فقد أمّه الأرضيّة في صغره.

لم يكن غريغوريوس ينقطع عن المطالعة. وهكذا انجز الترجمات الأرمنيّة العديدة لمؤلّفات الآباء اليونان والسريان: إيريناوس، وأوزيبيوس، وباسيليوس، وغريغوريوس النزينزي، وغريغوريوس النيصي، ويوحنّا فم الذهب، وكيرللس الأورشليمي، وأفراهات، وأفرام، وسواهم. كما طالع مؤلّفات الآباء الأرمن، موسى من خورين ازنيك، كوريون (حياة مسروب، مخترع الأبجديّة الأرمنيّة)، إليشاع، جان ماتاكوني، أغاتانج، لازار دي بارب، الخ... وكان معلّمه حنينًا وفّر له تنشئة دينيّة على خطى القدّيس باسيليوس، وحياة روحيّة غنيّة.

انتشرت شهرة علمه وقداسته عبر أرمينيا. طلب منه بعضُ أساقفة مقالاتٍ ورثاءاتٍ، وطلب منه الملوك شروحات للكتاب المقدّس، وطلب منه الشعب مواعظ وأناشيد، والرهبانُ كتابَ صلوات وتأملات. لبّى غريغوريوس بطيبة خاطر هذه الرغبات الصائبة، من أجل مجد الله الأعظم، وإكرامًا للمسيح الملك، ولأمّه القديسة والدة الله، ومن أجل خلاص النفوس.

كما يدل أصل الإسم «غريغوريوس» في اللغة اليونانيّة، والذي يعني «يقظ»، «سَاهر»، لقد عاش القدّيس حياة «تيقّظ». لذلك سمّاه القدّيس نرسيس دي لامبرون (١١٥٣–١١٩٨) «ملاكًا لابسًا جسدًا».

لما توفي غريغوريوس نحو سنة ١٠١٠، وقد أنهكته أعماله وليالي الأرق، وصلواته الطويلة، «مرهقًا بالتذكّر الدائم لينبوع الحياة»، دُفن جسده في الدير قرب الكنيسة المكرّسة على اسم القدّيسة سَانْتُخت (Santoukht).

ذاعت قداسته ونال تكريمًا من الجميع. حدّد السنكسار الأرمني عيده في ٢٧ شباط[1].

ب– مؤلّفاته

١– شرح «نشيد الأناشيد» الذي ألّفه في سنة ٩٧٧ تلبية لطلب غورغان–خاتشيك، أمير أنْتْسِقْتْسِيك (٩٧٢–٩٨٢) ثم ملك منطقة ڤاسْپُورَاكَان (Vaspourakan) (٩٨٣–١٠٠٣).

يقرّ غريغوريوس ان الموضوع حسّاس. مع ذلك ان عمله الذي استوحاه من غريغوريوس النيصي جدير بالتقريظ. انه يعرض ببساطة وبأسلوب صافٍ، معنى «نشيد الأناشيد» الذي كان يشير في العهد القديم إلى اتحاد يهوه بإسرائيل، ويعلن في العهد الجديد زواج كلمة الله المتجسّد مع الكنيسة وكل نفس.

٢– «قصّة صليب أَپَارَانْك – Aparank» (ذخيرة الصليب الحقيقي المنقول من القسطنطينيّة إلى أرمينيا في ٩٨٣) وردت بعدها مرثاتان، واحدة «**للصليب المقدّس**» وأخرى «**لأم الله**». هذه المقالات أُلفت نحو ٩٨٤. كلتا المرثاتين رائعتان جدًّا.

مرثاة سيدتنا العذراء ترجمها الى الإيطاليّة الأب المخيتاريستي دِيرُويَان (Diroyan) (البندقيّة، ١٩٠٤)، وترجمتها إلى الفرنسيّة تامار داسنابيديان بمثابة أطروحة دكتوراه في باريس.

عَرضَ بالتفصيل، بشكل نشيد وجداني في خمسة وعشرين مقطعًا، الأمومةَ الإلهيّة، وكمال النعمة، وصعود العذراء، والشراكة في الفداء، والوساطة الشاملة للعذراء.

هذه المرثاة هي حقًّا مثل نجمة تحتل المرتبة الأولى بين كتابات الآباء عن العذراء مريم، أم اللّه.

٣– «مرثاة الرسل والتلاميذ الاثنين والسبعين»، وُضعت بين ٩٨٤ و١٠٠٢»، يعظّم غريغوريوس فيها الرسل ويرفع مقاماتهم فوق مقامات القدّيسين الآخرين.

٤– «مرثاة القدّيس يعقوب النصيبي»، معاصر القدّيس غريغوريوس المستنير، وَضعَها في السنوات نفسها، تمجّد قدّيسًا ذا إكرام خاصّ لدى الأرمن.

٥– ثلاث خطب، بشكل طلبات، معنونة «**كَانْتْسْ**» **"Kants"** (= كنوز)، تكريمًا للروح القدس وللكنيسة المقدّسة وللصليب المقدّس.

٦– «كتاب الصلوات» أو «المرائي المقدّسة»، ألّفه بناءً لطلب الرهبان وأكمَلَه في العام

١– مؤلّفات آباء الكنيسة الشرقيّة، مجلّد ٢١ ص ١٠٠–١٠٢.

١٠٠٢. انّه المؤلّف الأهمّ لغريغوريوس دي ناريك، وهذا هو خاتمة إبداعه وهو الأجمل والجديد دومًا، بالرغم من مرور ألف سنة على تأليفه[٢].

ج- عقيدة «كتاب الصلوات»

لقد بثّ غريغوريوس في هذا العمل الرائع، الأفضلَ من ذاته، كلَّ ثروته الأدبيّة والشعريّة، مخيّلته وإحساسه الفيّاضين. والإيقاع هو طابعه الشخصي.

في هذه الصلوات يعلن خلاصة إيمانه: **«شريعة الصلاة هي شريعة الإيمان» "Lex orandi, Lex credendi"**. وإيمانه هذا الصافي والعميق يتوافق كلّيًّا مع العقيدة الكاثوليكيّة. راجع الصلاة ٣٤ (مقطع ٣-٧) عن الثالوث الأقدس والتجسّد؛ والصلاة ٧٥ عن الكنيسة الممجّدة؛ والصلاة ٩٣ عن الصوم المقدّس حيث تشرح الأسرار؛ والصلاة ٨٠ عن أم اللّه.

في هذه القصائد تتآلف الوجدانيّة مع النبرة النبويّة. نجد فيها الكتاب المقدّس بكامله في فسيفساء رائعة. أكثر من ١٨٠٠ استشهاد أو تلميح بيبليّ.

إضافةً إلى الإحساس بالتعاسة البشريّة بسبب الخطيئة، مقابل القداسة والعظمة الإلهيّتين، يكشف غريغوريوس عن قلب مولَع باللّه، يتلهّف للاتحاد به دون انفصام.

لقد انخرط غريغوريوس في موكب المتزهّدين الكبار:

«انه يماثل اللاهوتيّين الكبار في العصور الوسطى في الغرب، مثل القدّيس برنردوس، إيكهارت، تولير، سوزو»[٣].

كذلك يمكن تشبيهه بالمتزهّدين المعاصرين: تريز دافيلا وجان دي لاكروا. ان زهده هو على الأخصّ مركّزٌ في المسيح. معظم صلواته (٦٩ من ٩٥) تتوجّه إلى المسيح.

الحب الصافي لغريغوريوس إزاء المسيح يعبّر عنه، مثلا، في الصلاة الثانية عشرة:

«ليس برغبة الحياة، إنّما بذكر ذاك الذي يعطي الحياة، أُفني ذاتي دومًا.

أرهق نفسي لا من أجل وليمة العرس، بل بشوق العريس».

إحدى رغبات غريغوريوس الكبرى، شأنه شأن كل المستغرقين بالتأمّل، تكمن في الاتّحاد بالمسيح (الصلاة ٣٢):

«بفضل تقبيل شفاهي للقوت المخلّص في المناولة المحيية،

إقبَلْ وحدتي غير المنفصلة عنك

فلا أكوّن إلاّ روحًا واحدًا معك».

د- غريغوريوس الشاعر

في القصائد المقدّسة، في الأناشيد، في مرثاة أم اللّه، يبرز غريغوريوس بمخيّلته، بشعوره، بإيقاعه وكلمته، أحدَ أكبر شعراء العصور الوسطى. سمّوه «بِنْدار (Pindare) أرمينيا» لكنّه بِنْدَار في خدمة المسيح.

تآليفه تمثيليّة، جديرة بأن تُنشر من جديد هذه المرّة من قبل الأونيسكو. إنّها تنتسب إلى الأدب العالمي، لأنّها تعكس في الوقت ذاته اختبارًا عميقًا، وتكشف عن توازن أصيل وبسيكولوجي وتصوّفي.

العالِم الأرمني، إدوار دي لوريه (Edouard Dulaurier) قال بأنّه لا يرى في الأدب العالمي إلاّ قمتين: «القدّيس توما الأكويني، والقدّيس غريغوريوس دي ناريك».

هـ- شموليّة غريغوريوس دي ناريك

«كتاب الصلوات» الذي كتبه لم يخصّص فقط للأرمن بل لمسيحيّي العالم أجمع:

- «نشيد كتاب المرائي الجديد يتوجّه إلى كلّ عصور الجنس البشري المقيم على الأرض. يتوجّه إلى كلّ الفئات المتعدّدة لمسيحيّي العالم أجمع...» (الصلاة الثالثة).
- «ليتضاعفْ عطرُ كتاب الاعتراف هذا ويَفعل في الكثيرين:

لينتشرْ عبر العالم أجمع ويملأ الأرض كلّها التي يرمز إليها البيت...» (الصلاة ٣٣).

- صلاة للروح القدس: «في الوقت الذي أباشر فيه بشرح كلامك للجموع،

ليَسبقْني حنانُك ليقول لي، في باطني، وفي الوقت الملائم، ما هو أهلٌ ونافع ولذيذ لك،

من أجل مجد ومديح ألوهيّتك، ومن أجل كمال وبناء الكنيسة الكاثوليكيّة» (الصلاة ٣٤)[٤].

---

٢ - هناك أيضًا قرابة عشرين «نشيدًا» مقدّمًا نسبتُ إلى غريغوريوس، وضعها على الأرجح إنسان شابه، لكن الموضوع هو دائمًا ديني.

٣ - J. Kant, *DTC*, Tome II, Col. 24

٤ - حتّى يصبح كتاب الصلوات هذا في متناول المسيحيّين كما يتمنّى المؤلّف، ترجمتُه إلى الفرنسيّة وطُبع في فرنسا في سلسلة "Sources Chrétiennes, n° 78" سنة ١٩٦١. استغرقت الترجمة ١٤ سنة. طبعة ثانية تمّت حديثًا في السلسلة نفسها. عن ترجمتي الأولى، صدر نحو أربعين تقريرًا في مختلف لغات العالم.

الكتاب المقدّس حياة الشعب الأرمني

المطران بطرس مراياتي

رئيس أساقفة حلب وتوابعها للأرمن الكاثوليك

تحتفل الكنيسة الأرمنيّة هذا العام بذكرى مرور ١٧٠٠ سنة على اعتماد الأرمن وإعلان الدين المسيحيّ ديناً رسميّاً للدولة في العام ٣٠١. ولعلّه جميل ومفيد، في آن، أن نستكشف أهميّة الكتاب المقدّس في حياة الشعب الأرمنيّ وأن نستنبط ذِكْر أرمينيا في الكتاب المقدّس.

لقد كان الكتاب المقدّس حاضراً دوماً في حياة الشعب الأرمنيّ. فمنذ اهتداء الأرمن عن يد القدّيس غريغوريوس المنوِّر وهم يقرأونه باللغتَين اليونانيّة والسريانيّة، ويفسّرونه شفاهاً باللغة الأرمنيّة، إلى أن أوجد القدّيس مِسروب في العام ٤٠٦ الأبجديّة الأرمنيّة، فكان الكتاب المقدّس أوّل ما نُقل بها، وعُدَّ من أُمَّهات الترجمات، فدُعيَ عن حقّ «بملكة الترجمات»[١].

ربّما كان الهدف الأوّل من البحث عن الأبجديّة الأرمنيّة هو أن يصبح الكتاب المقدّس في متناول الشعب بلغته الأمّ المقروءة والمكتوبة. ولمّا تحقّقت الأُمنية أدرك الأرمن وكأنّ الله «يتكلّم الأرمنيّة»، وأنّ البيبليا أصبحت كتابهم الخاصّ. فالتاريخ المقدَّس بدأ يُقرأ في أرضهم كما في كتاب مفتوح في المناظر الطبيعيّة، وفي المواقع البيبليّة وفي المعابد المسيحيّة، بدءاً من جبل أراراط حيث رست سفينة نُوح، إلى أضرحة الشهداء المحفورة في الصخور.

إنّ بعض التفاسير الآبائيّة للكتاب المقدَّس لم تصل إلينا إلاّ باللغة الأرمنيّة بعد أن ضاع الأصل اللاتينيّ أو اليونانيّ أو السريانيّ (مثل تفاسير بابياس أسقف هيروبوليس، وإيريناوس أسقف ليون، ويوحنّا الذهبيّ الفم، وأفرام النصيبيّ، وساويريانُس أسقف جبلة، وأوتاليوس، وأوسابيوس القيصريّ بالإضافة إلى فيلون الإسكندري)[٢].

بهذا غدت أرمينيا «مستودعاً» للكتاب المقدّس وتفسيراته[٣].

ولمّا كتب المؤرِّخون الأرمن الأوائل قصّة شعبهم منذ البدايات، ربطوا التاريخ بأحداث الكتاب المقدَّس ووضعوا أصل الأرمن في سلالة أبناء نُوح، فدمجوا

١- أوّل من استخدم هذا التعبير هو لاكروز (Lacroze) المسؤول عن مكتبة فردريك الأوّل (١٦٥٧-١٧١٣) ملك بروسيا. وكانت الكلمات الأولى التي وضعها القدّيس مسروب بالأبجديّة الأرمنيّة تمثّل الكلمات الأولى من سفر الأمثال لسليمان بن داود: «لمعرفة الحكمة والنصيحة ولإدراك أقوال الفطنة...».

٢-
- Irénée, Epidexio (demonstration) de la foi apostolique - *Contre les Hérésies*.
- Jean Chrysostome, *Commentaires d'Isaie 8,10 ss* (Venise 1880/1887).
- St. Ephrem, Discours - *Commentaire du Diatesseron*.
- Sévérien de Gabala, *Homélies* (Venise 1827-1830).
- Eusèbe de Césarée, *Histoire Ecclesiastique - Chronique* (Venise 1818).
- Euthalios, *Introduction aux lettres de Paul* (Vienne, 1930).
- Philon, *Questiones in Genesim et in Exodum - De providenzia - De animalibus - De Deo - Prédications sur Jonas et sur Samson* (Venise, 1826; "Sources Chrétiennes" n° 435).

٣- Folker Siegert, in *Le Monde de la Bible*, 136 (2001) 22-25.

تاريخهم بمخطّط الله الخلاصيّ المُوحى في الكتاب والذي تحقّق في يسوع المسيح[٤].

وهنا، برزت أهميّة القيامة بالنسبة إليهم لأنّ الإنجيل وحده يقودهم إلى انبعاثٍ بعد الموت. ولمّا كانوا يطلبون الحياة، بالرغم من كلّ المصائب، جاءتهم الحياة التي تدعوهم إلى القيامة والخلود، كما قال المعلّم: «أنا هو القيامة والحياة، مَن آمن بي، وإن مات، فسيحيا. وكلّ مَن يحيا ويؤمن بي لن يموت للأبد» (يو ١١: ٢٥).

ومن هذه الروح البيبليّة الجديدة أصبح لشهاداتهم معنى، كما أصبح للموت قيمة، فاندمج التاريخ المدنيّ بالتاريخ الكنسيّ، وأصبح الاستشهاد من أجل الوطن شهادة من أجل المسيح.

لقد فهم الأرمن أهميّة الصليب في حياتهم لأنّه طريق الوصول إلى القيامة، فنقشوا في الصخر صُلباناً تعبيراً عن إيمانهم. ومن قاعدة هذه الصُلبان الحجريّة المدعوة «خاتشكار» فرّعوا غصنَين مُزهرَين علامة إلى شجرة الحياة التي خسرها آدم فنال الموت ولكنّ المسيح أعاد إليها ثمارها فنلنا الحياة.

وقد أطلق الأرمن على الكتاب المقدّس اسم «أسدفاتزاشونج» أي «نَفَسُ الله». والحقّ أنّ هذا اسم يفوق جميع الأسماء لأنّه لا يدلّ إلى كتاب أو مجلّد أو ورق أو حَرف وحسب، بل إلى روح الله الذي يُحْيي الحَرف. فما كانت كلمة الله صحائف ومِداداً، بل هي «روح وحياة» (يو ٦: ٣٦).

وإليكم ما كتبه الأرمن إلى مَلِك الساسانيّين في العام ٤٥٠ رافضين الخضوع لعبادة النار: «نحن نعترف بالإنجيل أباً لنا وبالكنيسة الرسوليّة الكاثوليكيّة أمّاً».

أجلّ الأرمن الكتاب المقدّس فنسخوه بحروف جميلة، وزيّنوه بالمُنَمْنَمات والزخرفات، ووشّوه بماء الذهب، ووضعوه على المذابح تعبيراً عن إجلالهم لكلام الله. كما أقاموا به التطوافات في أثناء الليتُرجيّة والاحتفالات الدينيّة، وأحاطوه بالبخور، ورنّموه بخشوع، وتباركوا منه شفاءً للنفس والجسد.

وإذا عدنا إلى كتابات آباء الكنيسة الأرمنيّة وقدّيسيها من أناشيد وصلوات نجدهم يستخدمون آيات الكتاب المقدّس بغزارة وكأنّهم يطعّمون كلامهم بكلام الله، وبذلك جاءت صلواتهم «كتابيّة» وأناشيدهم «بيبليّة»، حتّى إنّ القدّيس كريكور الناريكيّ († ١٠٠٣) يستشهد في كتاب صلواته المائة والخمسين بألفين وستّين آية من جميع أسفار الكتاب المقدّس[٥]. كما أنّ القدّيس شنورهالي († ١١٧٣) حوّل معظم أحداث الكتاب المقدّس، وبخاصّة حياة يسوع، إلى أناشيد مُسَجَّعة[٦]. وبذلك أصبح الكتاب المقدّس كتاب الجماعة الأرمنيّة المُصلّية.

وهكذا أيضاً كان شأن الأدباء الأرمن من شعراء وكُتّاب. فقد وجدوا في الكتاب المقدّس مَعيناً لأفكارهم ومُثُلهم العليا. وحتّى في عهد الحُكم الإلحاديّ الماركسيّ تَفَتّقَتْ قرائحهم بصُوَر وقصص واستعارات أخذوها من الكتاب المقدّس الذي تداولوه في الخفاء، وتوارثوه عن أمّهاتهم، فأنار ظلماتهم في تلك السنوات الحالكات، إلى أن جاءتهم الحرّيّة، فغدا الكتاب المقدّس الكتاب الأكثر انتشاراً يتناولونه مثل خبز مقدّس.

منذ أن نُقِلَ الكتاب المقدّس إلى اللغة الأرمنيّة والشعب الأرمنيّ يربط، عبر العصور، أحداث العهد القديم بأحداثه القوميّة، فوجد فيه مرآة تعكس تاريخه، تاريخ مسيرةٍ ونفيٍ وسعيٍ للحياة ووعدٍ من الله الذي لا ينسى شعبه. فعندما كان يخسر كلّ شيء كان يحافظ على الكتاب المقدّس مثل كنزٍ أغلى من الذهب[٧].

وبذلك شعر الأرمن وكأنّهم شعب الكتاب المقدّس. ومن هنا كانت استمراريّة التقاليد البيبليّة في الثقافة الأرمنيّة، ما جعلهم يحافظون على هُوِيّتهم وإيمانهم ويبدأون بعد كلّ محنة نهضةً وطنيّةً وروحيّةً جديدةً.

وقد عبّر الكاثوليكوس كاريكين الأوّل عن هذا الواقع بالقول: «عندما أتأمّل في دَور البيبليا في تاريخ الكنيسة الأرمنيّة وفي حياة الشعب الأرمنيّ، أفكّر بدَور الدم عندما يسري في جسم الإنسان»[٨].

هكذا كان الكتاب المقدّس حاضراً في تاريخ الكنيسة الأرمنيّة. ولكن، هل من حضور للأرمن في كتاب الله؟ هذا ما سوف نسعى إلى الإجابة عنه في عنوان آخر من هذا العدد من مجلّة بيبليا: **«أرمينيا في الكتاب المقدّس»**.

٤- Moïse de Khorène, *Histoire de l'Arménie* (Gallimard: Paris, 1993).

٥- Grégoire de Narek, *Le Livre de Prières*, Sources chrétiennes n° 78, deuxième édition (Cerf: Paris, 2000).

٦- Nersès Shnorhali, *Jesus Fils Unique du Père,* Sources Chrétiennes n° 203 (Cerf: Paris, 1973).

٧- Claudio Gugerotti, Supplément à *L'Osservatore Romano*, n° 216 (2001) 20.

٨- Karekine 1er, *À la recherche de la spiritualité. Le défi du renouveau* (Paris, 1997).

À la prise de Samarie par les Assyriens 721 av. J.-C.

À la prise de Samarie par les Assyriens 721 av. J.-C.

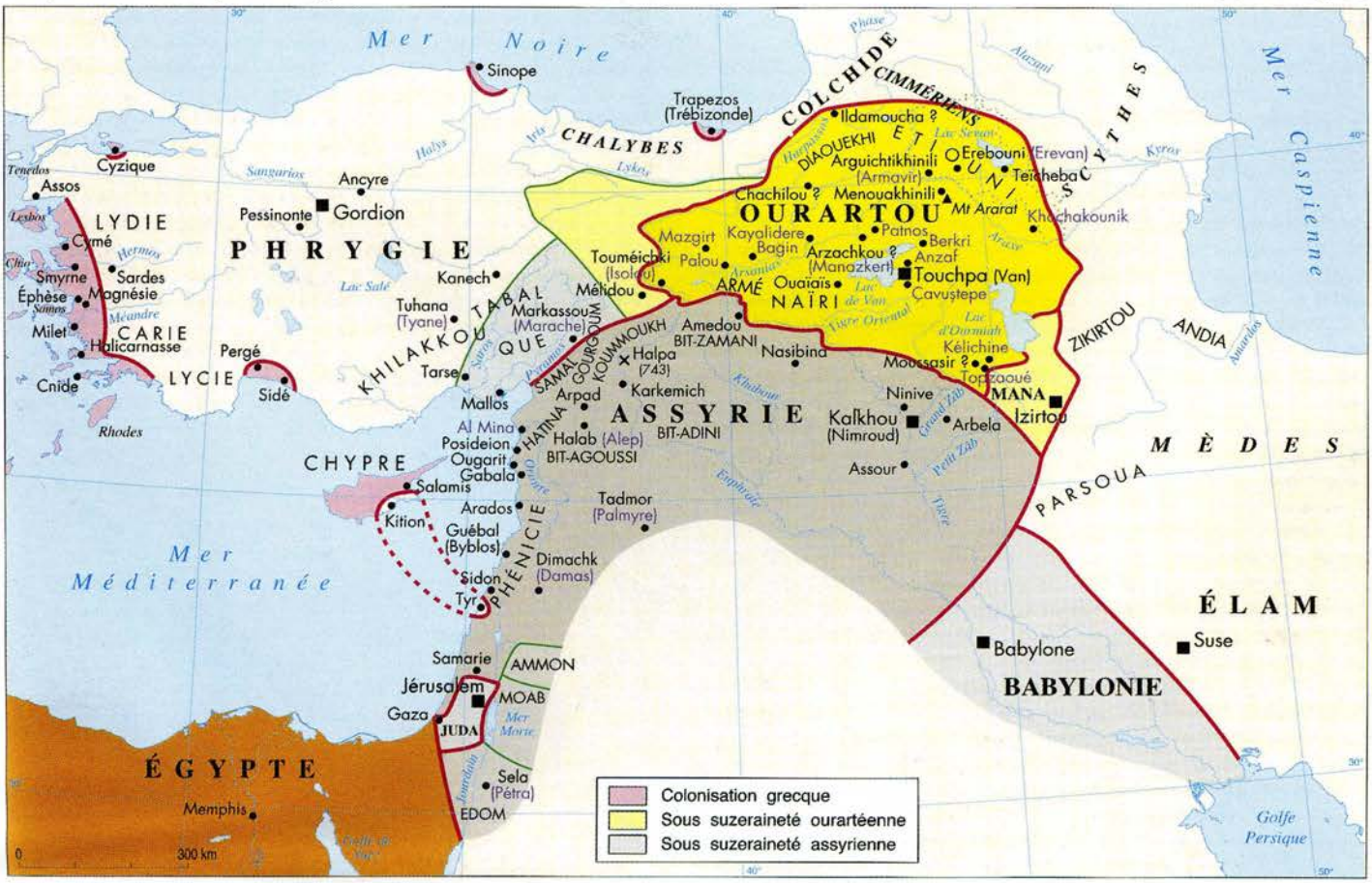

البيبليا والمنمنمات الأرمنيّة

أ. عبدو بدوي

بشارة العذراء

انجيل دير غلادزور ١٣٢٣ رقم ٦٢٨٩ (ورقة ١٤٣أ). مقاطعة سيونيا. الخطاط المنمنم طوروس طاروناتسي. هذه المنمنة تجمع بارتياح التقليد المحلي مع بعض الاستعارات الفنيّة القيليقية.

مقدّمة

في الذكرى المئويّة السابعة بعد الألف لتنصير أرمينيا، كثرت الاحتفالات والمناسبات لدى الشعب الأرمني ضمن حدود أرمينيا الحاليّة وفي بلاد الانتشار. لذلك، يطيب لنا أن نشارك بفرحة هذه الذكرى بكلمة، ولو وجيزة، حول تجسيد الفن الأرمني لِما استوحاه من البيبليا، فنلقي نظرة على فنّ المنمنمة الأرمنية بمعظم مدارسها واساليبها عبر العصور، وعلاقتها بالبيبليا.

هذه المنمنمات تتوزّع تاريخيًّا بين القرن السادس والقرن التاسع عشر، وجغرافيًّا انطلاقًا من أرمينيا الحاليّة الى أرمينيا الكبرى التي اجتزأها جيرانُها، وإلى ارمينيا الصغرى وقيليقيا، ومن ثَمَّ إلى بلاد الانتشار الأرمني في كل الاتجاهات.

تفاعل الفن البيبليّ والتاريخ الأرمنيَّين

إذا تتبّعنا التاريخَ الأرمني عبر حقباته نجد ما يلي:

أ- القرن السابع

بقيت لنا من هذه الحقبة اربع منمنمات مشهورة وهي:

الميلاد

مخطوط الأناجيل ١٣١٩–١٣٢٠

ارتسكه، فاسبوراكان، الخطاط المنمنم ڤاردان، رقم ٧٤٥٧، ورقة ٥أ. موضوع الميلاد مركز على سجود المجوس.

الرسم بخطوط سلسة. الطبقة التصويريّة تذكّرنا بالرسم المائي.

١– بشارة العذراء
٢– بشارة زكريّا
٣– سجود المجوس
٤– معموديّة المسيح

هذه الأخيرة يقابلها مؤرّخو الفنّ بمنمنمة معموديّة المسيح في مخطوط ربّولا السرياني من القرن السادس. تُعرَف هذه المنمنمات بمنمنمات مخطوط أناجيل اتشميادزين. تُصنَّف منمنمات هذا المخطوط بين أعمال الفنّ البِّالِيُوكْرِيسْتْيانِي، أي المسيحيّ الأوّل. أسلوبها يكشف لنا موقع أرمينيا الجغرافي على مفترق طرق حضارات عديدة كالسريانيّة، والهلّينيّة، والفارسيّة والبيزنطيّة.

ب– الحقبة الزمنيّة الممتدّة بين القرن السادس والتاسع

إنّها حقبة قاتمة في التاريخ الأرمني، إذ تَشعّبَ الأرمنُ إلى إمارات مختلفة واقعة تحت نفوذ جيرانها من عرب وفرس وجيورجيّين وحتى بيزنطيّين. عدا عن ما ذكرناه من منمنمات القرن السابع، لا شيء يُذكَر على صعيد المنمنمة والفنون؛ إنّها الحلقة المفقودة أو الضائعة من التاريخ الأرمني، كمثيلتها عند الموارنة وسائر الكنائس المشرقيّة، أسبابها عديدة، ومنها الانشقاقات واضطهاد الإيقونات.

ج– الحقبة الممتدّة من القرن التاسع حتى الثاني عشر

هذه الحقبة هي عصر النهضة الأرمنيّة الأولى على جميع الصُّعُد. إنها عهد الاستقلال الأرمنيّ والمملكة الأرمنية. استطاع الأرمن تكوين مملكتهم المستقلّة بسبب بدء انحطاط الخلفاء العبّاسيّين في

بغداد. هذا الاستقلال لم يدم طويلا في وجه الضغوطات البيزنطيّة التي أدّت في نهاية المطاف الى وضع يد البيزنطيّين على أرمينيا لكن لمدة قصيرة عقبتها غزوةُ السلاجقة.

فنّ المنمنمة في هذه الحقبة يقسم إلى قسمين: قسم أرستقراطي نُفِّذَ بناءً على طلب الحكّام والمتنفّذين، وقسم اكثر شعبيّة انطلق من الأديار المنتشرة خارج العاصمة، وأدّى إلى أساليب محلّيّة متنوّعة يغلب عليها التأثير البيزنطيّ، وخاصة في الانتشار نحو أرمينيا الصغرى، سبسطية وملاطيا بنوع خاص.

مثال على القسم الأوّل، كتاب أناجيل الملكة ملكي زوجة ملك فاسبوراكان التي قدّمته الى دير فاراج، وهو من القرن التاسع، وموجود حاليا في مكتبة المخيتاريّين في البندقيّة.

المصادر الإيقونوغرافية لهذا المخطوط متعدّدة، لكنها دُمجَت باستنتاج مميَّز. منمنمة الصعود مثلا، تعود إلى النموذج الربّولاوي السرياني مدمجة بعظمة الفن اليوستينياني.

معظم منمنمات هذا النوع بيزنطيّة التأثير، و لم يعد يميّزها إلا الكتابة بالأرمنيّة أو باليونانيّة.

أما منمنمات القسم الثاني، أي منمنمات المناطق بشكلها الشعبي والساذج أحيانًا، فمصادرها بيزنطيّة معروفة، وتأثّراتها المشرقيّة واضحة، سريانيّةُ كانت أم ساسانية أو من ما بين النهرين. تتميّز بفقرها اللوني وأشكالها الهندسيّة المبسّطة حتى البداءة.

وزع الفن الأرمني في هذه الحقبة بين عدّة ممالك ومقاطعات، مثل آني في سيونيا الشرقيّة، والممالك البغراتية مثل كارس وتاشيرلوري، ومملكة فاسبوراكان وإمارة تارون وغيرها.

د- الحقبة ما بين القرن الثاني عشر والخامس عشر أي حقبة الاقطاع الارمني

بعد الحكم البيزنطي الذي لم يدم طويلاً (١٠٢٠-١٠٦٤)، توالت على أرمينيا شعوب محاربة، كالسلاجقة والمغول والتركمان. تحرر منها الارمن أحيانا، كما في أرمينيا الشماليّة بمساعدة الجيورجيين، وظلّوا تحت سيطرتها في آسيا الصغرى. هذا مما سمح بالتداخل الحضاري والفني. أما قيليقيا، فقد توالت دفعات الهجرة الأرمنيّة إليها بعد ان حررها البيزنطيون من العرب، ودام استقلال قيليقيا بفضل وصول الصليبيين الذين تحالفوا وتصاهروا مع الارمن. عاشت هذه المملكة حتى مجيء المماليك عام ١٣٧٥.

مميزات المنمنمات الارمنية في هذه الحقبة تكمن في استقلالية كل فنان من دون الكلام على مدارس مختلفة، رغم وجود محترفات عديدة لخط المخطوطات. أما في قيليقيا فقد شهدت المنمنمة تطوّرًا في هذه الحقبة. أصبحت المخطوطات أصغر حجمًا والمنمنمات أكثر زخرفة، وتعدت الأناجيل إلى كتب العهد القديم والقراءات والمزامير. التقنيّة أصبحت اكثر دقة ولوحة الالوان أكثر غنى وادخل عليها الذهب واللازوردي. من اشهر المخطوطات المنمنمة في هذه الحقبة "كتاب صلوات كريكور ناريك" ومخطوط أورشليم.

شهدت هذه الحقبة نشاط أرمينيا في الشتات، جيورجيا، شبه جزيرة القرم، بولندا وإيطاليا، وذلك مقدّمة للانتشار الاكبر بعد القرن السابع عشر.

هـ- القرن السابع عشر وما بعد

بعد القرن السابع عشر، أصبحت الجغرافية الارمنية تحت رحمة الأمبراطوريتين، التركيّة العثمانية والفارسية الصفوية. ترك الارمن الارياف وتوزّعوا في المدن وأصبحوا تجارًا وزادوا غنى. لكن الصراع بين الامبراطوريتين عرّض أرمينيا الحدودية الى النهب والمجاعة والمجازر والشتات.

في القرن الثامن عشر، دخل الروس الى القوقاز، وخاف العثمانيون والصفويون من انحياز الارمن إليهم كقوة مسيحية، وعادوا الى شد الخناق عليهم ووضعهم في خانة الاعداء.

خلال مائتي عام لم ينقسم الأرمن فنيًّا وحضاريًّا رغم اقتسام بلادهم بين عظماء تلك الأيام.

ازدهرت المنمنمة في إقليم فاسبوراكان في هذه الحقبة على يد سركيس الكبير في اغتامار وسركيس الصغير وختشادور الثاني الخيزاني وكيراكوس في دير فاراغ.

في أواخر هذه المرحلة التحق الارمن بالمدن والتجمّعات السكنيّة الأكثر أمانًا وخاصة غربي الاناضول ووسطه، فان، موش، ارضروم، ملاكيا، أماسيا، طرابزون، سيواس، قيصريّة، حلب، استنابول، ازمير وغيرها، حيث بنوا الكنائس والاديار وأنشأوا محترفات الخط والتنميم.

فنّ مرتبط بالبيبليا

بعد استعراضنا لهذه المراحل التاريخيّة والجغرافيّة للمنمنمة الارمنية يمكننا استخلاص ما يلي:

١- المنمنمة الارمنية ركزت بنوع عام

بغداد. هذا الاستقلال لم يدم طويلا في وجه الضغوطات البيزنطيّة التي أدّت في نهاية المطاف الى وضع يد البيزنطيّين على أرمينيا لكن لمدة قصيرة عقبتها غزوةُ السلاجقة.

فنّ المنمنمة في هذه الحقبة يقسم إلى قسمين: قسم أرستقراطي نُفِّذَ بناءً على طلب الحكّام والمتنفّذين، وقسم اكثر شعبيّة انطلق من الأديار المنتشرة خارج العاصمة، وأدّى إلى أساليب محلّيّة متنوّعة يغلب عليها التأثير البيزنطيّ، وخاصة في الانتشار نحو أرمينيا الصغرى، سبسطية وملاطيا بنوع خاص.

مثال على القسم الأوّل، كتاب أناجيل الملكة ملكي زوجة ملك فاسبوراكان التي قدّمته الى دير فاراج، وهو من القرن التاسع، وموجود حاليا في مكتبة المخيتاريّين في البندقيّة.

المصادر الإيقونوغرافية لهذا المخطوط متعدّدة، لكنها دُمجَت باستنتاج مميَّز. منمنمة الصعود مثلا، تعود إلى النموذج الربّولاوي السرياني مدمجة بعظمة الفن اليوستينياني.

معظم منمنمات هذا النوع بيزنطيّة التأثير، و لم يعد يميّزها إلا الكتابة بالأرمنيّة أو باليونانيّة.

أما منمنمات القسم الثاني، أي منمنمات المناطق بشكلها الشعبي والساذج أحيانًا، فمصادرها بيزنطيّة معروفة، وتأثّراتها المشرقيّة واضحة، سريانيّةٌ كانت أم ساسانية أو من ما بين النهرين. تتميّز بفقرها اللوني وأشكالها الهندسيّة المبسّطة حتى البداءة.

وزع الفن الأرمني في هذه الحقبة بين عدّة ممالك ومقاطعات، مثل آني في سيونيا الشرقيّة، والممالك البغراتية مثل كارس وتاشيرلوري، ومملكة فاسبوراكان وإمارة تارون وغيرها.

د- الحقبة ما بين القرن الثاني عشر والخامس عشر أي حقبة الاقطاع الارمني

بعد الحكم البيزنطي الذي لم يدم طويلاً (١٠٢٠-١٠٦٤)، توالت على أرمينيا شعوب محاربة، كالسلاجقة والمغول والتركمان. تحرر منها الارمن أحيانا، كما في أرمينيا الشماليّة بمساعدة الجيورجيين، وظلّوا تحت سيطرتها في آسيا الصغرى. هذا مما سمح بالتداخل الحضاري والفني. أما قيليقيا، فقد توالت دفعات الهجرة الأرمنيّة إليها بعد ان حررها البيزنطيون من العرب، ودام استقلال قيليقيا بفضل وصول الصليبيين الذين تحالفوا وتصاهروا مع الارمن. عاشت هذه المملكة حتى مجيء المماليك عام ١٣٧٥.

مميزات المنمنمات الارمنية في هذه الحقبة تكمن في استقلالية كل فنان من دون الكلام على مدارس مختلفة، رغم وجود محترفات عديدة لخط المخطوطات. أما في قيليقيا فقد شهدت المنمنمة تطوّرًا في هذه الحقبة. أصبحت المخطوطات أصغر حجمًا والمنمنمات أكثر زخرفة، وتعدت الأناجيل إلى كتب العهد القديم والقراءات والمزامير. التقنيّة أصبحت اكثر دقة ولوحة الالوان أكثر غنى وادخل عليها الذهب واللازوردي. من اشهر المخطوطات المنمنمة في هذه الحقبة "كتاب صلوات كريكور ناريك" ومخطوط أورشليم.

شهدت هذه الحقبة نشاط أرمينيا في الشتات، جيورجيا، شبه جزيرة القرم، بولندا وإيطاليا، وذلك مقدّمة للانتشار الاكبر بعد القرن السابع عشر.

هـ- القرن السابع عشر وما بعد

بعد القرن السابع عشر، أصبحت الجغرافية الارمنية تحت رحمة الأمبراطوريتين، التركيّة العثمانية والفارسية الصفوية. ترك الارمن الارياف وتوزّعوا في المدن وأصبحوا تجارًا وزادوا غنى. لكن الصراع بين الامبراطوريتين عرّض أرمينيا الحدودية الى النهب والمجاعة والمجازر والشتات.

في القرن الثامن عشر، دخل الروس الى القوقاز، وخاف العثمانيون والصفويون من انحياز الارمن إليهم كقوة مسيحية، وعادوا الى شد الخناق عليهم ووضعهم في خانة الاعداء.

خلال مائتي عام لم ينقسم الأرمن فنيًّا وحضاريًّا رغم اقتسام بلادهم بين عظماء تلك الأيام.

ازدهرت المنمنمة في إقليم فاسبوراكان في هذه الحقبة على يد سركيس الكبير في اغتامار وسركيس الصغير وختشادور الثاني الخيزاني وكيراكوس في دير فاراغ.

في أواخر هذه المرحلة التحق الارمن بالمدن والتجمّعات السكنيّة الأكثر أمانًا وخاصة غربي الاناضول ووسطه، فان، موش، ارضروم، ملاكيا، أماسيا، طرابزون، سيواس، قيصريّة، حلب، استنابول، ازمير وغيرها، حيث بنوا الكنائس والاديار وأنشأوا محترفات الخط والتنميم.

فنّ مرتبط بالبيبليا

بعد استعراضنا لهذه المراحل التاريخيّة والجغرافيّة للمنمنمة الارمنية يمكننا استخلاص ما يلي:

١- المنمنمة الارمنية ركزت بنوع عام

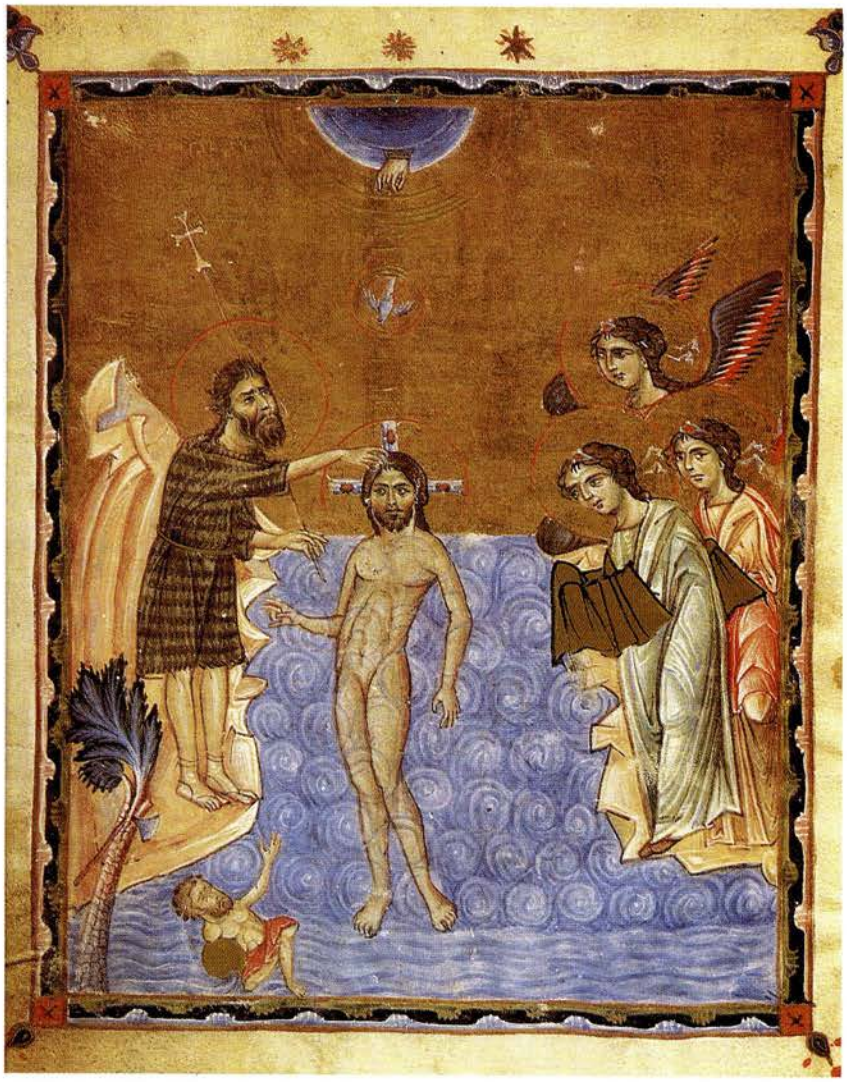

معموديّة المسيح

مخطوط أناجيل ملاطيا. قيليقيا، المنمنم طوروس روسلان. ١٢٦٨. يريفان. الماتندران رقم ١٠٦٧٥، ورقة ٢٢ب.

على العهد الجديد وتندر فيه مشاهد العهد القديم.

٢- هناك تسلسل كامل تقريبا لاحداث العهد الجديد، وهذا ما يذكرنا بالدورة الطقسية الإيقونوغرافية التي نجدها بنوع خاص في المنمنمات السريانية، مثل مخطوط ربولا، والمتحف البريطاني ٧١٧٠، والمكتبة الفاتيكانية ٥٥٩.

٣- الأساليب الفنية مختلفة، من التأثير البيزنطي إلى الفارسي والآسيوي، مرورًا بالمحلي الساذج.

٤- المنمنمة الأرمنية هي الشاهد الحي على التواصل الفني التصويري الأرمني عبر الأجيال وعبر الانتشار الأرمني.

خلاصة كلامنا هو أنّ المنمنمة الارمنية والبيبليا، خاصة العهد الجديد، توأمان لا ينفصلان، ويشكلان معًا ما يسمى في ايامنا بالطريقة السمعية-البصرية للتعليم وفهم الكتب.

مراجع:

La Miniature Arménienne, XIII-XIV^e^ s., coll. Maténadaram, Erevan, présentation d'Irina Ptakhova. Édit. d'Art Aurora Léningrad, 1984.

Les arts arméniens, Patrick Donabédian, Jean Michel Thierry. Édit. Mazenod, Paris, 1987.

Orients Chrétiens, Mahmoud Zibawi, DDB. Paris, 1995.

كتاب القراءات في الكنيسة الأرمنيّة

أ. نجم شهوان

مقدّمة

عرفتِ الكنيسة الأرمنيّة تقليدًا كتابيًّا عريقًا منذ القرون الأولى للمسيحيّة، وذلك بفضل اعتماد ملكها القدّيس غريغوريوس المنوّر (٢٤٠-٣٣٢) على إيمان الكنيسة الرّسوليّة، الذي أعطى هويّة مسيحيّة لأرمينيا، تلك الأمّة الغنيّة بحضارتها الأدبيّة وفكرها المبدع، ممّا دفع العديد منهم إلى ترجمة الكتاب المقدّس بكامله من السّريانيّة واليونانيّة إلى لغة البلاد آنذاك.

لقد مرّ كتاب القراءات الليتورجي بعدّة مراحل؛ فعدا مشكلة التّرجمات التي دعتِ الضّرورةُ إليها، كانت هناك مشكلة تحديد الكتب القانونيّة، وقرارات المجامع المسكونيّة الأولى، التي ساهمت في بطء تثبيت كتاب القراءات، وبالتّالي أُعيق تحديد هويّة هذا الكتاب، فتارةً تُزادُ عليه بعضُ المناسبات والأعياد، وتارة تُرفعُ منه لزيادة أمور جديدة، ممّا جعل الكنيسة الأرمنيّة تقتني عدّة كُتب قراءات، تشهدُ على كلّ التّغيُّرات التي رافقت هذا الكتاب عبر الزّمن.

إنّ التّراثَ الليتورجي الذي يمثّلُهُ هذا الكتاب لخيرُ دليل على الجذور العميقة التي تربط بين هذه الكنيسة والتّقليد الرّسولي الأورشليمي، خاصّة وأنّ الرّسول يهوذا، وهو غير الإسخريوطي، كما جاء في إنجيل يوحنّا (١٤: ٢٢-٢٣)، المعروف بتدّى أو تدّاوس (متّى ١٠: ٣؛ مر ٣: ١٨)، ويدعوه لوقا «يهوذا بن يعقوب» (لو ٦:١٦)، قد بشّر هذه الأمّة العظيمة، فكانت على اتّصال مباشر بتقليد كنيسة أورشليم، القريب جدًّا من التُّراث الكتابي. فإن اعتُبِرَ تدّاوس هو مبشِّر بلاد أرمينيا، لماذا لا تكونُ رسالتُه التي كتبها موجّهةً إلى هذه الكنيسة، فنستخلصُ بواسطتها بعضًا من تاريخ هذه الكنيسة التي كتبها إلى «المدعوّين المحبوبين» (١)، «الأحبّاء» (٣، ١٧، ٢٠)، ويحذّرهم من «أناس كفّار يُنكِرون الربَّ يسوع» (٤). فإن كانت هذه البيئة التي كَتَبَ إليها يهوذا متآلفة والفنّ الرّؤيوي (٦، ٩، ١٤-١٥)، فلماذا لا تكون هذه الرّسالةُ إذن موجّهةً إلى هذه الكنيسة، كما وجّه يوحنّا كتاب رؤياه إلى كنائس آسيا الصّغرى، القريبة منها، خاصّةً وأنّ يهوذا قد كتبَ باللّغة اليونانيّة، متأثّرًا بالتّرجمة السّبعينيّة للكتاب المقدّس، وبالتّفكير الكتابي السّامي؟

يعود الفضل بعرض كتاب القراءات تاريخيًّا، دراسةً ومحتوًى، إلى شارل رونو (Charles RENOUX) الذي يقوم بدراسة الطّقس الأرمني منذ ما لا يقل عن الأربعين سنة، فأصبح المرجع الأهم الذي يشهد على حضارة هذه الكنيسة الليتورجي، والأدبي واللاهوتي العريق.

١. التّرجمة الأرمنيّة للكتاب المقدّس

على مثال السّريان الأنطاكيّين، ترجم الأرمنُ الكثير من المؤلّفات إلى لغتهم، خاصّة في القرون الخامس، والثّامن والثّاني عشر؛ وكان الفضلُ في نهضة اللّغة الأرمنيّة للعلاّمة «مِسْرُوبْ - Mesrob» الذي ثبّت الأبجديّة الأرمنيّة (٤٠٦م) في زمان البطريرك سَحَقْ - Sahaq (إسحق) وتحت رعايته، مع تلميذَيه يوحنّا ويوسف[١]، الذين ترجموا

١- Jean d'Eguéghiatz et Joseph de Baghin

«الإثنين والعشرين كتابًا قانونيًّا، من كتب العهدين القديم والجديد»، ولقد انتهوا من عمل التّرجمة هذا سنة ٤١١.

تمّت هذه التّرجمة الأولى عن الفشيطة – ՓՇԻՏԱ[٢]، هذا لأنّ الكنيسة الأرمنيّة لم تكن تملك النّص اليوناني بعد، والسّبب المباشر هو أنّ اللّغة السّريانيّة، ولأسباب عديدة، كانت اللّغةَ الليتورجيّة في بعض أصقاع من أرمينيا، إلى حين غَزَتْ الأبجديّةُ الأرمنيّة المنطقة بكاملها بفضل مِسْرُوبْ. بالرّغم من أهمّية هذه المحاولة الأولى اعتُبِرَ العملُ ما زال ناقصًا وبقي الكثيرُ قَيْدَ التّمنّي، ويظهر هذا الأمر في قرار البطريرك سَحَقْ والعلاّمة مِسْرُوبْ اللذَين أرسلا إلى الرّها يوسفَ المذكور أعلاه وأحدَ تلامذته إزنيك – Iznik ، «بهدف ترجمة الكتب المقدّسة إلى اللّغة الأرمنيّة عن اللّغة السّريانيّة» مجدّدًا.

وفي مرحلةٍ لاحقة، وبهدف التّرجمة عن الأصل اليوناني، دخل التّلميذان إلى بيزنطيا، حيثُ أمضيا عدّة سنين، وكانا هناك خلال مجمع أفسس (٤٣١)، لتعُّلم اللّغة اليونانيّة. فبعد عودتهما إلى أرمينيا سعى البطريرك سَحَقْ والعلاّمة مِسْرُوبْ مجدّدًا إلى تنقيح التّرجمة القديمة المنقولة عن الأصل السّرياني، آخذين بعين الاعتبار «النّسخات القانونيّة التي حملها يوسف وإزنيك معهما»، وأعمال مجمع أفسس (٤٣١)، ولكنّ لغتَهما اليونانيّة كانت أيضًا دون المستوى، فظهرتِ التّرجمةُ غيرَ وافية بالغرض.

لأجل ذلك أُرسِل تلميذانِ آخران إلى الإسكندريّة لتلقّن اللّغة اليونانيّة وترجمة الكتاب المقدّس عن الأصل اليوناني المعروف بـ «السّبعينيّة»، بحسب ترجمة أوريجانوس السّداسيّة اللّغات، ولكنّ هذه التّرجمة عن الأصل اليوناني الإسكندري لم يُكتَبْ لها الحفاظ على هويّتها، إذ طرأ بعض التّغيير عليها عن نصّ الترجمة اللاتينيّة – Vulgate على يد الملك هَيْتُونْ الثّاني في نهاية القرن الثّالث عشر.

سنة ١٥٦٣، أُرسِلَ سِفرُ أَبْجَرْ – Séfer Abgar، وهو من عائلة أرمنيّة نبيلة، وشاغل منصب أمين سرّ البطريرك ميخائيل، كَسَفيرٍ من قِبَلِ البطريرك إلى روما، لمعالجة أمورٍ كنسيّة تخصُّ بلاده مع البابا بيّوس الرّابع. فاستفاد من إقامته هناك لِصَبِّ وتأسيس أولى الحروف الأرمنيّة. فجاء هذا العمل فرصةً للعالِم أُوسكان – Uscan الموجود في أمستردام حينها لطباعة الكتاب المقدّس بعهديه وبأكمله، فظهر العهد القديم سنة ١٦٦٦، والعهد الجديد سنة ١٦٦٨. وفي سنة ١٦٧٧، أُسِّسَتْ أوّلُ مطبعة في القسطنطينيّة، فطبعتْ طبعة أُوسكان طبعةً ثانية سنة ١٧٠٥، ولكنّها كانت ناقصة، فأُكمِلَتْ عن نسخة الترجمة اللاتينيّة – Vulgate وهي: كتب أستير، وابن سيراخ، والرّؤيا.

في العصر الذي عاش فيه أُوسكان، كانت نسخات الكتاب المقدّس لا زالت نادرة في أرمينيا؛ فلذلك كانت تُباعُ بمثاقيل من ذهب، علِمًا أنّ النّسخات الموجودة لم تكن ذات نوعيّة. تجدُرُ الإشارةُ إلى أنّ أُوسكان هو تلميذ الرّاهب الدُّومينيكاني پول پيرُومَلّي – Paul Piromalli الذي كان يعلّم مادّة اللاّهوت في دير أتشمياتزين – Etchmiazin ، فتعلّم في مدرسته أن يلجأ إلى سلطة الكنيسة الرّومانيّة، في كلّ مرّة يخامرُه الشّكُّ حول الحقيقة.

بعد كلّ ذلك سعى المخيتاريّون[٣] إلى تنقيح وطباعة النّسخة التي نشرها أُوسكان، فظهرت نسختُهم سنة ١٧٣٣. ولكنّ النّسخةَ التي لم يطبعْها الأرمن مباشرةً وظهرت باللّغة الأرمنيّة كانت النّسخة الكاملة للكتاب المقدّس الذي صدر في بيترسبورغ سنة ١٨١٤[٤].

٢. كتاب القراءات حسب المخطوطات

لم يكن كتاب القراءات من عمل الكنيسة الأرمنيّة مباشرةً، فهو وريث مدرسة أورشليم[٥]، ولكن النّسخات اللاحقة لم تحافظْ على هويّة الأصلي، فطرأ تحوُّلٌ كبير لحاجة الملاءمة مع زمن الكنيسة، وقد لعب هذا الدّور كلٌّ من يوهنّس أوجنيكي – Yovhannēs Awjnecʿi († ٧٢٨)، وغريغوريوس أرشَروني – Grigoris Aršaruni († ٧٢٩)، وسُلُمُون (سليمان) ماكِنوكاسي – Solomon Makʿenocʿacʿi († القرن الثّامن).

لم تكن الدّورة الطّقسيّة التي سيرافقها كتاب القراءات ثابتة حتّى الآن، ولكنّ الكتاب الأوّل هذا كان يحوي في بداية الأمر صلوات السّاعات وصلوات

٢– أي «البسيطة»، هي نص الكتاب المقدّس باللّغة السّريانيّة.

٣– جماعة رهبانيّة أسّسها مخيتار – Méchitar (١٦٧٦–١٧٤٩)، واعترف بها البابا إقليمنضوس الحادي عشر سنة ١٧١٢.

٤– *Bible Complète*, éditée par la Société Biblique de Russie, Saint Pétersbourg, 1814.

٥– Renoux A. "Le codex arménien de Jérusalem 121", *Patrologia Orientalis* 35/1, 36/2 (1969-1971). Ce manuscrit a été confronté avec Paris 44 et Erévan 985.

القدّيسين، بحسب مخطوطة المعهد الحبري اللّيونياني الأرمني تحت الرّقم ١ (٧٠)، المنسوخ في روما سنة ١٣٠٢.

والمخطوطة الثّانية توجد في Universitätsbibliothek MA XIII 21 وتعود إلى ما بين القرنين الثّاني عشر والرّابع عشر، وتحتوي على قراءات خاصّة بالأعياد السّيديّة لصلوات الفرض، للقدّيسين، لزمن الصّوم، للآباء، خاصّة تيودورس وغريغوريوس المنوّر، لرتبة المعموديّة في زمن الصّوم، لصلوات الصّباح في آحاد الصّوم ولعيد الصّليب.

المخطوطة الثّالثة هي في مكتبة المخيتارست، رقم ١٦٩، البندقيّة، وتعود إلى ما بين القرنَيْن العاشر و الحادي عشر، وهي ذات طابع أورشليمي وتضمّ: قراءات أعياد القدّيسين لِسُبُوتِ الصّوم، الأعياد الجديدة للسّبوت: الأبوان تيودورس، وغريغوريوس، بالإضافة إلى جُمَل مختارة خاصّة بالتّعليم المسيحي لرتبة المعموديّة في خلال زمن الصّوم، وقراءات لليتورجيّا عيد الصّليب في ١٤ أيلول.

المخطوطة الرّابعة في مكتبة المخيتارست، رقم ٢٨٥، البندقيّة، وهي تعود إلى القرنَيْن الحادي عشر أو الثّاني عشر، وهي ذات صبغة أورشليميّة أيضًا، وتحتوي على: قراءات من سفر التّكوين ١: ٢٨ في ليلة عيد ميلاد وعماد الربّ يسوع (Epiphanie)، قراءات لأعياد القدّيسين لسُبوت الصّوم، أعياد جديدة خاصّة بالسّبوت: تيودورس الجنرال، غريغوريوس المنوّر، بالإضافة إلى جُمَل مختارة للتّعليم المسيحي لرتبة المعموديّة في زمن الصّوم، كما أنّ هناك قراءات لليتورجيّا الآحاد في الصّوم؛ كذلك هناك قراءات لنهار ١٣ أيلول وهو عيد التّجديد، وتليه قراءات اليوم الثّاني، الأحد، الإثنين، الثلاثاء، الأربعاء، والخميس.

المخطوطة الخامسة موجودة في مكتبة المخيتارست، رقم ٣، البندقيّة، وتعود إلى ما بين القرنَيْن العاشر والحادي عشر، وهي أيضًا على النّحو الأورشليمي، ولكنّها تبدأ بالقراءة الثّالثة عشرة بجُمَلٍ خاصة بالتّعليم العمادي (أش ٥٣: ٧)، قراءات لفرض الصّباح، لأحد الشّعانين، لفرض المساء، لفرض الأحد نفسِه، وقد كُيِّفَ على الاحتفال الأرمني ليتناسب والتّقليد المحلّي. بالإضافة إلى قراءات فرض الصّباح وليتورجيّا الآحاد في زمن الصّوم. وظهرت قراءات لليتورجيّا ١٥ آب، وقراءات لليتورجيّا يوميّة لأعياد الصّليب حتّى نهار الجمعة.

المخطوطة السّادسة في مكتبة المخيتارست، رقم ٧٠٠، البندقيّة، وتعود إلى القرن السّادس عشر، وهي وليدة مدرسة أورشليم، تبدأ بالقراءة الثّانية لنهار الخميس، للأسبوع الثّاني من الصّوم (مثل ٤: ٦). ثم لدينا قراءات لأعياد القدّيسين لسبوت الصّوم، وهناك قراءات لعيد جديد لنهار السّبت من الأسبوع الخامس للصّوم: القدّيس غريغوريوس. كما توجد جُمَلٌ خاصّة بالتّعليم المسيحي حول العماد للفرض الإلهي في الصّوم. وأخيرًا القراءات لفرض الصّباح وليتورجيّا الآحاد في الصّوم.

المخطوطة السّابعة في مكتبة المخيتارست، الرقمان ٢٣٠٤ و١٧١٩، البندقيّة، وهي عبارة عن بعض بقايا من المخطوطة المعروفة بـ ČAŠOC[٦] والتي تعود إلى القرنَيْن العاشر أو الحادي عشر، وإلى القرنَيْن التّاسع أو العاشر.

المخطوطة الثّامنة، في دير القدّيس يعقوب للأرمن، رقم ١٢١، أورشليم، وقد نُسِخَتْ سنة ١١٩٢، وتحتوي على قراءات لسبوت الصّوم، للقدّيسين تيودورس، كيرلّس ويوحنّا الأورشليمي، للصّوم الأربعيني، للقدّيس غريغوريوس المنوّر في خروجه من الجبّ، لنهار الثّالث عشر من شهر أيلول، لليوم الثّاني، وللأحد من بعد عيد الصّليب.

يبدو لنا من هذا العرض أن مخطوطة أورشليم ١٢١ هي في أساس تكوين كتاب القراءات الطّقسيّة في الكنيسة الأرمنيّة. كانت هناك قراءات لأيّام الأسبوع وقراءات للآحاد، خاصّة في زمن الصّوم، قراءات للقدّيسين وقراءات للمعموديّة. بالإضافة إلى ما تحويه هذه الكتب الليتورجيّة، هناك أيضًا عناصر مشتركة، وهي الرّوبريكات، المزامير، اللازمات، وآيات مختارة من الكتاب المقدّس، كما هو وضع الجُمَلِ الخاصة بالمعموديّة.

٣. هيكليّة السّنة الطّقسيّة وقراءاتها

تبدأ السّنة الطّقسيّة حسب الكاتب فريدريك كورنْوَلّيس[٦] بعيد الدنح – «الأبيفانيا»، الذي يُحتَفَل به في الخامس–السّادس من شهر كانون الثّاني، وهي تتألّف من أعياد سيّديّة، فيتبع عيدَ «الأبيفانيّا» زمنُ الصّوم الكبير، ثمّ زمن الأسبوع الكبير، أي أسبوع الآلام، فزمن الفصح؛ ومع بداية شهر أيّار تبدأ تذكارات مختلفة وتتواصل حتّى عيد

٦– Frederik Cornwallis Conybeare. *Rituale Armenorum*. Oxford, Clarendon Press, 1905, pp. 516-527

العنصرة أي حلول الرّوح القدس على الرّسل، ونعود مجدّدًا مع نهاية شهر كانون الأوّل إلى افتتاح السّنة الطّقسيّة مجدّدًا.

١/٣. قراءات زمن «الأبيفانيّا»

تجدُرُ الإشارة إلى أنّ قراءات الأزمنة الطّقسيّة المذكورة مأخوذة من العهدين القديم والجديد، ولو لم ترافق كلَّ الأيّام؛ في ما يلي الأعياد والتّذكارات والمناسبات التي اختِيرَتْ قراءاتُها حسب القراءة اللاهوتيّة والعقائديّة:

٥ كانون الثّاني، عشيّة عيد الأبيفانيّا، السّاعة التّاسعة: في خيمة الرّاعي: مز ٢٣، أنتيفونة: هلّلويا، مز ٨٠؛ لو ٢: ٨-٢٠؛ متّى ١: ١٨-٢٥. وفي ليل العيد يُقرأ تك ١: ١-٣، ٢٠؛ أش ٧: ١٠-١٨؛ خر ١٤: ٢٤-١٥: ٢٢؛ مي ٥: ٢-٨؛ مثل ١: ١-٩؛ أش ٩: ٥-٧؛ ٣٥: ٤-٨؛ ٤٠: ١٠-١٧؛ ٤٢: ١-٧؛ دا ٣: ١-٩٠.

٦ كانون الثّاني، عيد الأبيفانيّا: طي ٢: ١١-١٥؛ هللويا، مز ١١٠؛ متّى ٢: ١-١٢؛ ١: ١٨-٢٥.

٧ كانون الثّاني، تذكار القدّيس إسطفانوس: مز ١١٠؛ رسل ٦: ٨-٨:٢؛ يو ١٢: ٢٤-٤٦.

٨ كانون الثّاني، في «بيت الشّهداء»: مز ١١٠؛ عب ١: ١-١٤؛ متّى ٢: ١٣-٢٣.

٩ كانون الثّاني، كنيسة صهيون المقدّسة: مز ١١٠؛ غل ٤: ١-٧؛ مز ١٣٢؛ لو ١: ٢٦-٣٨.

١٠ كانون الثّاني، جبل الزّيتون: مز ٩٩؛ عب ١٢: ١٨-٢٧؛ مز ١٥؛ لو ١: ٣٩-٥٦.

١١ كانون الثّاني، احتفال بانبعاث لعازر: مز ٣٠؛ ١تس ٤: ١٢-١٤؛ مز ٤٠؛ يو ١١: ١-٤٦.

١٢ كانون الثّاني، على الجلجلة: مز ٩٨؛ قول ٢: ١-١٥؛ هللويا؛ مز ٨٤؛ لو ٢: ٢١.

ينتهي هنا قانون الأبيفانيّا المقدّسة، وقد استُكمِل بإدخال قانون الشّهداء على مجمل القراءات.

١١ كانون الثّاني، تذكار بطرس وأبشالوم: مز ١١٦؛ روم ٨: ٢٨-٣٩؛ هللويا، مز ١١٦؛ متّى ١٠: ١٦-٢٢.

١٧ كانون الثّاني، تذكار أنطونيوس الحبيس: مز ١١٦؛ عب ١١: ٣٢-٤٠؛ هللويا، مز ١١٦؛ متّى ١٠: ٣٧-٤٢.

١٩ كانون الثّاني، نهار تيودوسيوس الملك: مز ١٣٢؛ ١طم ٢: ١-٧؛ هللويا؛ مز ٢١: ١؛ لو ٧: ١-١٠.

٢/٣. قراءات زمن الصّوم الكبير

١٥ شباط، ذكرى ميلاد الربّ يسوع المسيح الأربعيني: مز ٩٨؛ غل ٣: ٢٤-٢٩؛ هللويا؛ مز ٩٦: ٢؛ لو ٢: ٢٢-٤٠.

١٢ آذار، تذكار كيرلّس، أسقف أورشليم: مز ١١٦؛ ٢ طم ٤: ١-٨؛ مز ١١٦؛ يو ١٠: ١١-١٦.

٢٩ آذار، يوحنا أسقف أورشليم: مز ١١٦؛ ٢ طم ٤: ١-٨؛ مز ١١٦؛ يو ١٠: ١١-١.

هناك تسعة عشر قراءة لذكرى الأربعين يومًا المذكورة؛ القراءة الأولى: أش ١: ١٦-٢٠؛ القراءة الثّانية: حز ١٨: ٢٠-٢٣؛ القراءة الثّالثة: روم ٦: ٣-١٤؛ القراءة الرّابعة: قول ٢: ٨؛ القراءة الخامسة: عب ١١: ١-٣١؛ القراءة السّادسة: أش ٤٥: ١٧-٢٦؛ القراءة السّابعة: أف ٣: ١٤-٤: ١٣؛ القراءة الثّامنة: إر ٣٢: ١٩-٤٤؛ القراءة التّاسعة: أي ٣٨: ٢-٣٩: ٣٥؛ القراءة العاشرة: ١قو ٨: ٥-٩: ٢٣؛ القراءة الحادية عشرة: عب ١: ١-١٢؛ القراءة الثّانية عشرة: أش ٧: ١١-٨: ١٠؛ القراءة الثّالثة عشرة: أش ٥٣: ١-٥٤: ٥؛ القراءة الرّابعة عشرة: ١قو ١٢: ٨-٢٧؛ القراءة الخامسة عشرة: دا ٧: ١٣-٢٧؛ القراءة السّادسة عشرة: ١قو ١٢: ١-٧؛ القراءة السّابعة عشرة: ١قو ١٢: ٨-٢٧؛ القراءة الثّامنة عشرة: حز ٣٧: ١-١٤؛ القراءة التّاسعة عشرة: ١طم ٣: ١٤-١٦.

٢/٣|أ. الأسبوع الأوّل لزمن الصّوم

الأربعاء، السّاعة العاشرة، في صهيون المقدّسة: خر ١: ١-٢؛ يؤ ١/١٤-٢٠؛ مز ٥١؛ الجمعة، السّاعة العاشرة، في صهيون المقدّسة: تث ٦: ٤-٧، ١٠؛ أي ٦: ٢-٧، ١٣؛ أش ٤٠: ١-٨؛ مز ٤١.

٢/٣|ب. الأسبوع الثّاني لزمن الصّوم

الإثنين، السّاعة العاشرة، «أناستازيا» (كنيسة القيامة): ١ صم ١: ١-٢٣؛ هو ١: ٢-٣٣؛ إر ١: ١-١٠؛ مز ١٣٠. الثلاثاء، السّاعة العاشرة، «أناستازيا»: ١ صم ١: ٢٣-٢: ٢٦؛ مثل ٢: ١-٣، ١٠؛ إر ١: ١١-٢، ٣؛ مز ٢٧. الأربعاء: خر ٢: ١١-٢٢؛ يوئيل ٢: ١-١١؛ مي ٤: ١-٧؛ مز ٥٧. الخميس: ١ صم ٣: ٢١-٤: ١٨ (السّبعينيّة)؛ مثل ٣: ١١-٤، ١٣؛ إر ٢: ٣١-٣، ١٦؛ مز ٣٩. الجمعة: تث ٧: ١١-٨: ١؛ أي ٩: ٢-١٠: ٢؛ أش ٤٠: ٩-١٧؛ مز ٦٥.

٣|٢|ج. الأسبوع الثّالث لزمن الصّوم

الأربعاء، السّاعة العاشرة، في صهيون المقدّسة: خر ٢: ١٣–٣: ١٥؛ يوئيل ٢: ٢١–٣٢؛ مز ٣١.

الجمعة، السّاعة العاشرة، في صهيون المقدّسة: تث ٨: ١١–٩: ١٠؛ أي ١٢: ١–١٣: ٦؛ أش ٤٢: ١–٦؛ مز ٧٥.

٣|٢|د. الأسبوع الرّابع لزمن الصّوم

الأربعاء، السّاعة العاشرة، في صهيون المقدّسة: خر ٣: ١٦–٢٢؛ يؤ ٣: ١–٨؛ مز ٧٧.

الجمعة، السّاعة العاشرة، في صهيون المقدّسة: تث ٩: ١١–٢٤؛ أي ١٦: ٢–١٧، ١٦؛ أش ٤٢: ٢٢–٤٤؛ مز ٨٣.

٣|٢|هـ. الأسبوع الخامس لزمن الصّوم

الأربعاء، السّاعة العاشرة، في صهيون المقدّسة: خر ٤: ١–٢١؛ يؤ ٣: ٩–٢٢؛ مز ٨٤.

الجمعة، السّاعة العاشرة، في صهيون المقدّسة: تث ١٠: ١–١٥؛ أي ١٩: ٢–٢٩؛ أش ٤: ١–١٣؛ مز ٨٥.

٣|٢|و. الأسبوع السّادس لزمن الصّوم

الأربعاء، السّاعة العاشرة، في صهيون المقدّسة: خر ٤: ٢١–٥: ٣؛ زك ٩: ٩–١٦؛ مز ٨٦.

الجمعة، السّاعة العاشرة، في صهيون المقدّسة: تث ١١: ١٠–٢٥؛ أي ٢١: ١–٣٤؛ أش ٤٦: ٣–٤٧، ٤؛ مز ٨٨.

السّبت السّابق الأسبوع المقدّس (أسبوع الآلام)، قيامة لعازر: مز ٣٠؛ ١تس ٤: ١٢–١٧؛ هللويا، مز ٤٠؛ يو ١١: ٥٥–١٢: ١١.

٣/٣. قراءات الأسبوع الكبير (أسبوع الآلام)

أسبوع الشّعانين، في «بيت الشّهداء»: مز ٩٨؛ أف ١: ٣–١٠؛ هللويا، مز ٩٩؛ متّى ٢١: ١–١١

السّاعة التّاسعة، تطواف إلى جبل الزّيتون مع سعف النّخل؛ مصلّين ومرتّلين حتّى السّاعة العاشرة، إلى حين يهبطونَ إلى «الأناستازيا»: مز ١١٨.

الإثنين، في «بيت الشّهداء»: تك ١: ١–٣: ٢٠؛ مثل ١: ١–٩؛ أش ٤٠: ٩–١٧؛ مز ٢.

الثلاثاء، الساعة العاشرة في جبل الزّيتون: تك ٦: ٩–٩: ١٧؛ مثل ٩: ١–١١؛ أش ٤٠: ٩–١٧؛ مز ٢٥.

الأربعاء، الساعة العاشرة، في «بيت الشّهداء»: تك ١٨: ١–١٩: ٣٠؛ مثل ١: ١٠–١٩؛ زك ١١: ١١–١٤؛ مز ٤١. وبعد المزمور، في «الأناستازيا»: متّى ٢٦: ١٤–١٦.

الخميس، السّاعة السّابعة، في «بيت الشّهداء»: تك ٢٢: ١–١٨؛ أش ٦١: ١–٦؛ رسل ١: ١٥–٢٦؛ مز ٥٥، وعندئذٍ يُقبَلُ الموعوظون، فيقولون: مز ٢٣؛ ١ قو ١١: ٣٣–٣٢؛ متّى ٢٦: ٢٠–٣٩، وتُقَدَّمُ الذَّبيحةُ في «بيت الشّهداء» عند أقدام الصّليب. ويقومون بتطواف نحو صهيون المقدّسة: مز ٢٣؛ ١ قو ١١: ٢٣–٣٢؛ مر ١٤: ١٢–٢٦. ويذهبون بتطواف إلى جبل الزّيتون لأجل الخدمة المسائيّة وليلة الحدث: مز ٢: مز ٤١؛ مز ٥٩؛ مز ٨٨؛ مز ١٠٩. وفي المساء عَينِه يصعدون إلى أعلى الجبل ويقولون: مز ١٠٩؛ لو ٢٢: ٣٩–٤٦. ثم يجتمعون في غرفة التّلاميذ: مر ١٤: ٣٣–٤٢. ثمّ في الجسمانيّة، في جبل الزّيتون: متّى ٢٦: ٣٦–٥٦، ومن بعد ذلك في الجلجلة، مغنّين مز ١١٨؛ متّى ٢٦: ٥٧–٢٧: ٢. ثمّ في قصر الحاكم: يو ١٨: ٢٨–١٩: ١٦، ومن جديد على الجلجلة، مغنّين المزامير، ومن ثم يقرأون من لو ٢٣: ٢٤–٣١.

الجمعة، تكريم الصّليب قرب الجلجلة، وفي السّاعة السّادسة، يجتمعون على الجلجلة ويقولون ثمانية مزامير بالإضافة إلى قراءات أخرى: مز ٣٥؛ زك ١١: ١١–١٤؛ غل ٦: ١٤–١٨؛ مز ٣٨؛ أش ٣: ٩–١٥؛ فل ٢: ٥–١١؛ مز ٤١؛ أش ٥٠: ٤–٩؛ روم ٥: ٦–١١؛ هللويا، مز ٢٢؛ عا ٨: ٩–١٢؛ ا قو ١: ١٨–٣١؛ مز ٣١؛ أش ٥٢: ١٣–٥٣: ١٢؛ عب ٢: ١١–١٨؛ متّى ٢٧: ٣–٥٣؛ مز ٦٩؛ أش ٦٣: ١–٣؛ عب ٩: ١١–٢٨؛ مر ١٥: ١٦: ٤١؛ مز ٨٨؛ إر ١١: ١٨–٢١؛ عب ١٠: ١٩–٣١؛ لو ٢٣: ٣٢–٤٩؛ مز ١٠٢؛ زك ١٤: ٦–١١؛ ا طم ٦: ١٣–١٦؛ يو ١٩: ٢٥–٣٧، ومن بعد ذلك يدخلون الكنيسة عند السّاعة العاشرة.

السّبت، في «الأناستازيا» مع المشاعل: مز ١١٣. يضيء الأسقفُ ثلاث مشاعل ويفعل كذلك الآخرون. وينطلقون إلى «بيت الشّهداء» بالمشاعل ويقرأون قراءات العيد: مز ٨٨؛ تك ١: ١–٣: ٢٤؛ ٢٢: ١–١٨؛ خر ١٢: ١–٢٤؛ يو ١: ١–٤: ١١؛ خر ١٤: ٢٤–١٥: ٢١؛ أش ٦٠: ١–١٣؛ أي ٣٨: ١–٢٨؛ ٢ مل ٢: ١–٢٢؛ إر ٣١: ٣١–٣٤؛ هو ١: ١–٩؛ حز ٣٧: ١–١٤؛ دا ٣: ١–٩٠.

نصف اللّيل: مز ٦٥؛ ١ قو ١٥: ١–١١؛ هللويا، مز ٣٠؛ متّى ٢٨: ١–٢٠. تُقَدَّمُ الذّبيحة ويُقبلَ الموعوظون. عندها

يقربُ الأسقف من «الأناستازيا» أمام الجلجلة، ويقرأون حالاً من يو ٢٠: ١-١٨.

٤/٣. قراءات زمن القيامة

أحد القيامة، في «بيت الشّهداء»: رسل ١: ١-١٤؛ هللويا، مز ١٤٧؛ مر ١٦: ٢-٨.

عند السّاعة التّاسعة، يصعدونَ إلى جبلِ الزّيتون، مرتّلين نشيدًا، ثم يعودون إلى «الأناستازيا».

عند المساء، يذهبون إلى صهيون المقدّسة: مز ١٤٩؛ يو ٢٠: ١٩-٢٥.

الإثنين، في «بيت الشّهداء»: مز ٦٥؛ رسل ٢: ٢٢-٤١؛ هللويا، مز ١٤٧؛ لو ١٤: ١-١٢.

تدبير السرّ في «بيت الشّهداء»: ١ بط ٥: ٨-١٤.

الثّلاثاء، تذكار إسطفانوس: مز ٦٥؛ رسل ٢: ٤٢-٣: ٢١؛ مز ٢١؛ لو ٢٤: ١٣-٣٥.

الأربعاء، في صهيون المقدّسة: مز ١٤٧: رسل ٣: ٢٢-٤: ١٢؛ يع ١: ١-١٢؛ هللويا، مز ٦٥؛ لو ٢٤: ٣٦-٤٠.

الخميس، في جبل الزّيتون، مز ٩٩؛ رسل ١٣: ٣١؛ يع ١: ١٣-٢٧؛ هللويا، مز ١٥؛ متّى ٥: ١-١٢.

الجمعة، على الجلجلة: مز ٩٨؛ رسل ٤: ٣٢-٥: ١١؛ يع ٢: ١-١٣؛ هللويا، مز ٩٣؛ يو ٢١: ١-١٤.

تدبير السّرّ: ١ يو ٢: ٢-٢٧.

السّبت، في «الأناستازيا»: مز ٦٧؛ رسل ٥: ١٢-٣٣؛ يع ٢: ١٤-٢٦؛ هللويا؛ يو ٢١: ١-٢٥.

تدبير السّرّ: ١ قو ١١: ٢٣-٣٢.

الأحد، الصّباح، في «بيت الشّهداء»: مز ٦٥؛ رسل ٥: ٣٤-٦: ٧؛ يع ٣: ١-١٣؛ مز ١٤٧: ١٢؛ يو ١: ١-١١.

السّاعة التّاسعة، في جبل الزّيتون، يرتّلون المزامير لوقت معيّن، ثم يهبطون إلى «الأناستازيا»: مز ١٤٩؛ يو ٢٠: ٢٦-٣١.

تدبير السّرّ في «الأناستازيا»: ١ بط ٢: ١-١٠.

٥/٣. قراءات مختلفة

١ أيّار: تذكار إرميا النّبي في «الأناثوث»: مز ٤٠؛ إر ١: ١-١٠؛ ٣٨: ١-٢٨. ٢ بط ٢: ٩-٢٤؛ هللويا، مز ٣٠؛ متّى ٢: ١٦-١٨.

٧ أيّار: على الجلجلة: يوم ظهور الصّليب: مز ٩٧: ٦؛ رسالة كيرلّس إلى قسطنطين؛ غل ٦: ١٤-١٨؛ هللويا، مز ٩٨؛ متّى ٢٤: ٣٠-٣٥.

١٨ أيّار، في بيت لحم، الأطفال الذين قتلهم هيرودس: مز ٨؛ رسل ١٢: ١-٢٤؛ عب ٢: ١١-١٨؛ هللويا، مز ١٠٣؛ متّى ٢: ١٦-١٨؛ هللويا، مز ٢٤؛ لو ١٤: ٤١-٥٣.

* أحد العنصرة

عند الفجر، في «بيت الشّهداء»: مز ١٤٣؛ رسل ٢: ١-٢١؛ هللويا، مز «ما أعذَبَ بيتكَ يا رب!»؛ يو ١٤: ١٥-٢٤.

السّاعة الثّالثة، زيارة صهيون: مز ١٤٣؛ رسل ٢: ١-٢١؛ يو ١٤: ٢٥-٢٩.

السّاعة العاشرة، في جبل الزّيتون: مز ١٤٣؛ رسل ٢: ١-٢١؛ يو ١٦: ٥-١٥.

ومن ثَمَّ إلى صهيون المقدّسة: مز ١٤٣: يو ١٤: ١٥-٢٤.

٢٧ حزيران، زكريّا النّبي: مز ٢٦؛ زك ٣: ٧-٤: ٩؛ ١قو ١٢: ٢٦-١٣: ١٠؛ هللويا، مز ١١٦؛ متّى ٢٣: ٣٤-٢٤: ١.

١٤ حزيران، أليشاع النّبي: ٢ مل ١٣: ١٤-٢١؛ عب ١١: ٣٢-٤٠؛ هللويا، مز ١١٦؛ لو ٤: ٢٥-٤٢.

٢ تمّوز، تابوت العهد الذي كان في قِرْيَاتْ يعَارِيمْ: مز ١٣٢؛ ١ صم ٦: ١٨-٧٢؛ ٢ مل ٦: ١٢-١٩؛ عب ٩: ١-١٠؛ مز ٣٦؛ متّى ٥: ١٧-٢٠.

٦ تمّوز، أشعيا النّبي: مز ١١٦؛ أش ٦: ١-١٠؛ أف ٤: ٧-١٣.

إستشهاد أليعازر: ٢ مك ٦: ١٨-٧: ٤١؛ متّى ٥: ١٧-٢٠.

١٥ آب، نهار لمريم أم الله - Théotokos: مز ١٣٢؛ أش ٧: ١٠-١٥؛ غل ٣: ٢٩-٤: ٧؛ هللويا، مز ١١٠؛ لو ٢: ١-٧.

٢٤ آب، توما الرّسول: مز ١٩؛ رسل ١: ١٢-١٤؛ ١ قو ١٢: ٢٦-١٣: ١٠؛ هللويا، مز ٤٧؛ يو ٢٠: ٢٦-٣١.

٢٩ آب، يوحنّا المعمدان: مز ١١٦؛ رسل ١٣: ١٧-٤٢؛ هللويا، مز ١١٦؛ متّى ١٤: ١-١٢.

٢٣ أيلول، تكريس وتجديد الأماكن المقدّسة: النّهار الأوّل، في «الأناستازيا»: مز ٦٥؛ ١ طم ٣: ١٤-١٦؛ هللويا، مز ١٤٧؛ يو ١٠: ٢٢-٤٢. النّهار الثّاني، على الجُلجلة: مز ٦٥.

١٥ تشرين الثاني: فيلبّوس الرّسول: مز ١١٦: ١٥؛ رسل ٨: ٢٦–٤٠؛ هللويا، مز ٤٧؛ يو ١: ٤٣–٥١.

٣٠ تشرين الثاني: أندراوس الرّسول: مز ١٩؛ ٢ قو ١١: ٢٤–٣٢؛ يو ١: ٣٥–٤٤. تكريس المذابح الجديدة: مز ٤٣؛ عب ١٣: ١٠–١٦؛ هللويا، مز ٢٦؛ متّى ٢٣: ١٢–٢٢.

٢٥ كانون الأوّل، تذكار داود ويعقوب أخي الرّبّ، في صهيون المقدّسة: مز ١٣٢؛ ٢ صم ٥: ١–١٠؛ رسل ١٥: ١–٢٩؛ متّى ٢٢: ٤١–٤٦.

٢٦ أو ٢٧ كانون الأوّل، إسطفانوس: مز ١١٠؛ رسل ٦: ٨–٨: ٢؛ هللويا، مز ٢١؛ يو ١٢: ٢٤–٢٦.

٢٨ كانون الأوّل، بطرس وبولس: مز ١٩؛ ٢ بط ١: ١٢–١٩؛ ٢ طم ٤: ١–٨؛ هللويا، مز ٤٧؛ يو ٢١: ١٥–١٩.

٢٩ كانون الأوّل، يعقوب الرّسول ويوحنّا الإنجيلي: مز ٩٦؛ رسل ١٢: ١–٢٣.

خاتمة

بعد هذا العرض لتاريخ كتاب القراءات في الكنيسة الأرمنيّة نرى أنّ جذورَه الليتورجيّا تحمل طابَعًا أورشَليميًّا من حيث هيكليّة المناخ في توزيع الأعياد ومن حيث الأماكن المذكورة التي تربطنا بأورشليم، أمّ الكنائس.

لقد مرَّ كتاب القراءات في الكنيسة الأرمنيّة بعدّة مراحل ابتداءً من القرن الثّالث وحتّى القرن السّابع عشر، وذلك بسبب تعدُّد التّرجمات، بسبب انعقاد المجامع، بسبب الانقسامات الدّاخليّة، ولكنّ العرض الذي أوردناه يضعنا أمام تاريخ كنيسة واحدة مرتبطة بتقليد قديم وعريق، تشهد عليه مخطوطة ١٢١ التي تحمل هذا التّراث المخطوط.

إنّ كيان كتاب القراءات في الكنيسة الأرمنيّة ينبثق من أحداث الخلاص، فلذلك هو قريب جدًّا من التّيار الكتابي ومن مدرسة أنطاكيا كما من فلسفة مدرسة الإسكندريّة، لذا فهو يحتوي على تيّارات فكريّة وعلى مدارس ليتورجيّة ذات عمق لاهوتي كبير.

ذُكِرَ القليل عن كتاب القراءات في الكنيسة الأرمنيّة، ولكنّ السّنة الطّقسيّة كما هي اليوم لا تشهد على التّقليد القديم الذي عرفناه من خلال المخطوطات، وبالرّغم من ذلك يبقى هذا الكتاب قيد هويّة السّنة الطّقسيّة، قيد التّرجمات لنصوص الكتاب المقدّس، أي قيد السّلطة الكنسيّة.

فكتاب الصّلوات هذا هو كتاب الكنيسة المجتمعة تسمع كلمة الله، التي وحدها تغذّي إيمان المؤمنين وذلك في خلال اللّقاءات الليتورجيّة الطّقسيّة للصلاة، فلأجل هذا يبقى كتاب القراءات البيبليّة الليتورجي، كتاب الأعياد والمناسبات الكبرى الذي يرافق الكنيسة المجاهدة في صلواتها الاحتفاليّة.

مراجع:

CONYBEARE F. C., *Rituale Armenorum*, 1-35, Oxford: Clarendon Press, 1905.

Le codex arménien, dans *Patrologia Orientalis*, T. 44, fasc. 4, N° 200. "Le lectionnaire de Jérusalem en Arménie: Le ČAŠOC', Introduction et liste des manuscrits", par RENOUX C., Brepols, Turnhout/ Belgique 1989.

ADONTZ N., "Les fêtes et les saints de l'Eglise arménienne", dans *Revue de l'Orient Chrétien* 26 (1927-1928) 74-104 et 225-278.

RENOUX A., *Liturgie arménienne et liturgie hiérosolymitaine, Liturgie de l'Église particulière et de l'Église universelle*, BELS, N° 7, Rome 1976, pp. 275-288.

RENOUX A., "Un manuscrit du lectionnaire arménien de Jérusalem", in *Le Muséon* 74 (1961): 384.

RENOUX A., "Le codex arménien Jérusalem 121", *Patrologia Orientalis* 35/1; 36/2 (1969-1971).

Dictionnaire de la Bible, II, éd. Mame, "Arménienne (Version) de la Bible", par HYVERNAT H., col. 1010-1015.

Dictionnaire de Spiritualité, T. 1, "Arménienne (Spiritualité)", col. 862-876, par HAUSHERR I., Paris 1936.

كتاب القراءات البيبليّة الليتورجي،
عنصر أساسي في حياة الكنيسة الأرمنيّة المتجذّرة في البيبليا
(محسنان يدعيان غَرَبيت وإسُوعَان يقدّمان، وهما ساجدان، الكتاب المقدّس إلى الكنيسة، سنة ١٢٣٦.
مخطوط رقم ٣٦، صفحة ١٢٤، أصفهان، إيران، المتحف الأرمني)

الحوت يقذف يونان إلى البَرّ.
(من كتاب قراءات الملك هيثُوم الثاني، سنة ١٢٨٦.
مخطوط ٩٧٩، ورقة ٢٠٠. يرڤان)

المنحولات الأرمنيّة•

الخوري بولس الفغالي

ارتبط تاريخ البيبليا الأرمنيّة ارتباطًا وثيقًا باستنباط الأبجديّة. ففي بداية القرن الخامس، وبعد قرن على اهتداء أرمينيا إلى المسيحيّة، استنبط الأرمن حروفًا خاصّة بهم، فكان هذا الاستنباط بداية نشاط أدبيّ بدأ بالكتاب المقدّس، فوصل إلى آباء الكنيسة، وامتدّ إلى النصوص المنحولة التي أوردت منها اللغة الأرمنيّة عددًا كبيرًا. قبل مجمع أفسس، عمل المترجمون الأرمن في وسط سريانيّ، ولا سيّما في مدينة الرها بمدرستها الشهيرة مع هيبا، التي تبعت تيودورس، أسقف المصيصة، واعتبرته «المفسّر». ولكن بعد الحكم على نسطوريوس في مجمع أفسس (٤٣١)، توجّه الأرمن نحو مدرسة الاسكندريّة، بعد أن دفعهم ساحاق إلى ذلك، وهو المعروف بصداقته للعالم اليونانيّ، ممّا جعله يقاسي السجن لدى الفرس من سنة ٤٢٨ حتى ٤٣٢.

عرفت أرمينيا المسيحيّة عصرها الذهبيّ في بداية القرن الخامس، فنقلت ما نقلت من كتب. أما نحن فنتوقّف عند الأدب المنحول، الذي تُرجم ساعة تُرجم الكتاب المقدّس، أو أُلّف في أرمينيا، فقوّى العاطفة الدينيّة لدى الأرمن، في حقبات مختلفة، وبتأثيرات متنوّعة. نشير هنا إلى أن الأخبار المنحولة عن تداوس وبرتلماوس أتاحت للأرمن أن يجدوا ما يبرّر الأصول الرسوليّة لكنيستهم.

١ – منحولات مؤسِّسة

نبدأ هنا بأسفار منحولة ارتبطت بالأصل الرسوليّ للكنيسة الأرمنيّة. يقول التقليد إنّ أرمينيا بُشِّرت على يد الرسول تداوس. ونحن نجد في اللغة الأرمنيّة مجموعة من النصوص تُسند هذا التقليد، بينها نسخة أرمنيّة تعود إلى العصر الذهبيّ على ما يبدو لتعليم أداي السرياني الذي نسب إلى لَبُوبْنا؛ يورد هذا «التعليم» تأسيس كنيسة الرها بواسطة رسول المسيح أداي[1] الذي مات موتًا طبيعيًّا في الرها، بعد أن أتمّ عمله التبشيريّ.

إن قابلنا النصّ الأصليّ بالنسخة الأرمنيّة، نرى أن الترجمة أمينة بشكل إجمالي. ولكن في نهاية النصّ يبتعد المترجم عن النصّ الأصليّ. فموت الرسول في الرها، سيكون في الترجمة الأرمنيّة، انطلاقًا نحو الشرق. وحيث يتحدّث النصّ السرياني عن موت أداي موتًا طبيعيًّا، يلمّح النصّ الأرمنيّ إلى استشهاد قاساه الرسول في مناطق الشرق. وموكب أداي الجنائزي في الرها، كما يصوّره النصّ السرياني، يُصبح في الأرمنيّة موكبًا يرافق الرسول إلى حدود المملكة. هذه التحوّلات من النصّ الأصليّ إلى النسخة الأرمنيّة، تمّت بشكل بارع ولطيف. حاول المترجم أن يستعمل جميع معطيات النصّ السرياني، قدر المستطاع، فراعى عناصر الأصل السريانيّ. هو ما تخلّى عن كل شيء. غير أن هناك معطية ما استطاع أو ما أراد أن يحتفظ بها، وهي موت أداي الطبيعي في الرها. ونحن نفهم الأسباب التي جعلته

• استقينا المقال من:

V. CALZOLARI, «La Bible et les textes apocryphes dans l'Arménie ancienne», dans *Connaissance des Pères de l'Église*, n°81 (l'Arménie), mars 2001, pp. 38-51

١ – «تداوس» في المراجع اليونانيّة. رج أوسابيوس، **التاريخ الكنسي**، ١:١٣.

يعيد كتابة هذا النصّ المنحول: رفض في أن يعارض التقليد الأرمنيّ الذي يقول: لم تتوقّف كرازة تداوس في الرها، لدى الملك أبجر، بل تواصلت إلى أرمينيا حيث قُتل الرسول بيد الملك الأرمني ساناتروك. هذا التقليد الذي يفترضه فاوستوس البيزنطيّ، يرد في سلسلة من النصوص الأرمنيّة التي لا نجدها سوى في الأرمنيّة: استشهاد تداوس، خبر تداوس وساندوكست، استشهاد ساندوكست، اكتشاف ذخائر تداوس. هذه الكتابات الأربع تروي مجيء الرسول إلى أرمينيا في أيّام الملك ساناتروك.

وتتواصل مسيرةُ صياغة «تعليم أداي» فيما بعد. فالنصّ الأرمنيّ المكيَّف «للتعليم»، صار بدوره موضوع صياغات جديدة لدى المؤرّخ الأرمني موسى الخورينـي (القرن الخامس أو الثامن). ففي «تاريخ أرمينيا»، دوّن نسخته عن كرازة تداوس، فأعطى نفحة أرمنيّة لعدد من المعطيات ولعدد من الأشخاص في «تعليم أداي». فأبجر، ملك الرها، صار وجهًا من أرمينيا، ودخل في سلسلة ملوك أرمينيا. وطوبيا اليهودي، الذي كان أوّل من استقبل الرسول في الرها، حسب «تعليم أداي»، صار في خبر موسى الكوريني «طوبيا... من أسرة باغرتوني». إذن، انتمى إلى سلالة ساحاك باغرتوني الذي طلب من المؤرّخ الأرمنيّ أن يكتب له هذا الكتاب. وتتواصل مسيرة الطبع بالطابع الأرمنيّ، في مقطع يحلّل فيه موسى الكوريني اسم «أبجر»: هو يعني في السريانيّة: «الأعرج». أما موسى فتخيّل الاشتقاق التالي: «دُعي أبجر هذا، في الأرمنيّة، أداغ أثير، الرجل العظيم، بسبب وداعته الكبيرة وحكمته، وبالتالي بسبب سنّه. ولكن اليونان والسريان لم يقدروا أن يلفظوا هذا الاسم كما يجب، فدعوه أبجر».

إذا كان المترجم الأرمنيّ لـ«تعليم أداي» قد حوّل بعض المعطيات التي تتعارض والتقليد الأرمنيّ حول رسالة تداي في أرمينيا، فموسى الكوريني، من جهة، استغلّ هذا التقليد القديم، كما استغلّ ترجمة «تعليم أداي» الأرمنيّة لكي يجعل تداي يلعب دورًا محصورًا لدى الأرمن.

إذن، صارت رواية أبجر وأداي/تداي، انطلاقًا من القرن الخامس، رواية تدلّ على أصالة الكنيسة الأرمنيّة التي يمكنها أن تتحدّث عن جذورها الرسوليّة. وفي مؤلّف فاوستوس البيزنطيّ، يُدعى أقدم كرسيّ في الكنيسة الأرمنيّة «كرسيّ تداوس».

فالتقليد المتعلّق بتداوس وبرسالته لدى الارمن، قد اغتنى بمعطيات جديدة. ونحن نجده بشكل خاص في نصّ آخر منحول دُوّن في الأرمنيّة هو: استشهاد برتلماوس.

٢- استشهاد برتلماوس

يقول «استشهاد برتلماوس»: بعد أن قام الرسول بسلسلة من الجولات عبر مختلف مناطق المسكونة، ولا سيّما في بلاد الفراتيين وفي أرض «الفرس والمجوس»، وصل إلى أرمينيا. وكلّما اقترب القدّيس من الأراضي الأرمنيّة، تصبح العاطفة الوطنيّة لدى الكاتب أكثر وضوحًا. نلاحظ أوّلاً اختلافًا جذريًّا بين كلام على الفراتيين القريبين من سلالة الملوك الارسانيين الذين صارت أرمينيا في أيّامهم مسيحيّة، وكلام على الفرس الساسانيين، أي السلالة التي طردت الفراتيين من إيران، وهم الذين حاولوا أن يفرضوا الزردشتيّة على الأرمن المسيحيّين. ففي خبر «استشهاد برتلماوس»، لم يُبد الفراتيون أيّة مقاومة تجاه ما يقدّمه الرسول من تعليم: «اهتدى فراتيّون عديدون إلى ربّ القوّات، بسبب الآيات والمعجزات والأشفية المختلفة وتهدئة الآلام، التي نالوها من الرسول القديس برحمة الرب ورأفته». أما الساسانيون فصُوِّروا نسْلاً رافضًا لكلمة نادى بها الرسول، ومعدًا لأن يهلك إلى الأبد:

«أخذ برتلماوس يعظ... إنجيل متى. ولكن رغم معجزات عظيمة وعجائب تجلّت من العلاء، لم يُخِفْهم بحيث يبعدهم عن عبادة العناصر، وعن الخرافات الباطلة التي ضلّوا فيها بكبرياء وترفّع، بل أنار فقط ثماني أنفس، وانتزعهم من هذا النسل البربري، نسل الهالكين».

وبدت هذه النظرة الوطنيّة أكثر وضوحًا مع وصول الرسول إلى أرمينيا، في منطقة غوتا، التي عجّل سكانها فاعتنقوا الإيمان المسيحيّ: «وبعد أن نادى برتلماوس هناك بكلمة الحياة، قبلوها بفرح وحماس، وارتضوا بها وخضعوا، واستناروا بمعموديّة جرن العماد».

لا نجد هنا تلميحًا من قبل كاتب «استشهاد برتلماوس» الأرمني، إلى واقع يقول إن الوثنيّة سادت مدّة طويلة بعد اهتداء أرمينيا الرسميّ إلى المسيحيّة، في بداية القرن الرابع.

فالنصّ يقول بصريح العبارة: إن كرازة برتلماوس تمّت في الأمكنة التي فيها سار سلفه تداوس: «مضى في مقاطعة غوتا الأرمنيّة، فوصل بسرعة إلى حصّة تداوس، حسب أمر الروح القدس... كان برتلماوس ضحيّة استشهاد أمر به

ساناتروك، وهو الملك نفسه الذي حكم بالموت على تداوس، فمات تحت ضربات الجلاّدين بهراواتهم. وساعة أسلم برتلماوس الروح، جاء الرسول تداوس إلى لقائه، كما في شكل جسديّ، لكي يأخذه إلى السماء. هذه السفرة الأخيرة التي جمعت رسولَي أرمينيا، ضمّت في الوقت عينه تقليدين منحولين لا يتزاحمان، بل يتداخلان ليُسندا تقليد الأصول الرسوليّة للمسيحيّة الأرمنيّة. فإن سُمّي كرسي الكنيسة الأرمنيّة، في القرن الخامس، «كرسي تداوس»، ففي القرن العاشر، كما يقول المؤرّخ يوحنّا دراسخانا كرتاستي، سيُسمَّى «كرسي تداوس وبرتلماوس».

متى دُوّن «استشهاد برتلماوس»؟ من المعقول أن يكون دوّن في الحقبة البيزنطيّة، ساعة أحسّ الأرمن بالحاجة إلى أن يعطوا كنيستهم شرفًا رسوليًّا، فجعلوها على اسم رسولين: تداوس الذي يجعله التقليد تارة أحد الاثني عشر، وطورًا أحد السبعين أو أحد الاثنين وسبعين تلميذًا ليسوع. وبرتلماوس أحد الاثني عشر. ولماذا هذا التأكيد بقوّة على الأصل الرسوليّ للكنيسة الأرمنيّة؟ نفهم السبب في الإطار التاريخيّ والسياسيّ الذي رأى الكنيسة الأرمنيّة، في النصف الثاني من القرن السادس، تنفصل عن الكنيسة اليونانيّة وتطالب باستقلاليّتها.

٣- استشهاد اندراوس

قدّمت لنا النصوص المنحولة المتعلّقة بتداوس وبرتلماوس، شهادةً أساسيّة حول تاريخ المسيحيّة الأرمنيّة. ومع ذلك، يجب أن نشدّد على أننا نستطيع أن نستعمل النصوص الأرمنيّة المنحولة لفهم وجهات من تاريخ المسيحيّة خارج حدود أرمينيا. ذاك هو، على سبيل المثال، وضع استشهاد اندراوس، الذي يشكّل القسم الأخير من «أعمال اندراوس» الذي هو نصّ يونانيّ دُوّن، على ما يبدو، في الاسكندريّة، في النصف الثاني من القرن الثاني. وقد يكون «استشهاد اندراوس» اليوناني نقل إلى الأرمنيّة في القرن السادس أو القرن السابع.

إن المخطوطات التي تحتفظ بنصّ «استشهاد أندراوس» في اليونانيّة، قليلة ومتجزّئة. أما العودة إلى المخطوطات الأرمنيّة، فسمحت لنا أن نحصي عشرين مخطوطًا على الأقل. فشهادة النصّ الارمنيّ لإعادة تكوين الأصل اليونانيّ لا يُستغنى عنها على المستوى اللغوي. ونعود بشكل خاص إلى مقاطع كان فيها النصّ اليونانيّ ضحيّة اقتطاعات واختصارات. ونحن لا نستطيع إعادة بنائه إلاّ بفضل النصّ الأرمنيّ. وهذا مفيد جدًّا بالنسبة إلى النصوص التي تعكس تدخّلاً عقائديًّا معقولاً من قبل الناسخين اليونان. ذاك هو وضع الفصل ٥٧.

يتضمّن هذا الفصل خطبة الرسول اندراوس إلى تلاميذه، وفيها يشدّد على أهمّيّة التجرّد من العالم المحسوس والتوجّه نحو العالم الإلهي السامي: «ماذا يفيدكم أن تمتلكوا ما هو خارجيّ ولا تمتلكوا نفوسكم؟... أو لماذا كل هذا الاهتمام بما هو خارجيّ، ساعة أنتم أنفسكم لا تهتمّون بما أنتم؟ ولكني أحضّكم جميعًا على أن تبدّلوا هذه الحياة المتعبة، الباطلة، البليدة، الكاذبة، الفارغة، الفاسدة، العابرة، صديقة الملذّات، عبدة الزمن، خادمة السكر، قريبة الفجور، صاحبة البخل... أستحلفكم بأن تتخلّوا عن كلّ هذه الحياة، أنتم الذين اجتمعتم هنا بسببي، وعجّلوا في أن تمسكوا نفسكم التي تنطلق نحو ما فوق الزمن، وفوق الشريعة، وفوق الكلمة، وفوق الجسد، وفوق الملذّات المرّة...».

بالإضافة إلى هذه التوصيات التي نُقلت نقلاً أمينًا، تضمّنت النسخة الأرمنيّة لهذا الفصل ٥٧، مقاطع غابت عن الأصل اليونانيّ. هي مقاطع تشجب الزواج وايلاد البنين والبنات، فتقدّم ميولاً تعفّفية: «إن كانت الملذّات ومجامعات الزواج تُسرّكم، فلتحزنكم النجاسة التي تنتج عنها، ولتملأكم ألمًا. إذا رغبتم في إيلاد البنين والألم المنهك الذي يكون لكم الثمرة، فليضايقكم... ولماذا ترغبون في اللذة وفي الإيلاد، حين يجب عليكم فيما بعد أن تنفصلوا بعضكم عن بعض؟ فما من أحد يعرف ماذا يعمل. أو من يعتني بامرأته وهو يهتمّ بها حبًّا بالشهوة؟».

هذه المقتطفات التي لا نقرأها إلاّ في المخطوطات الأرمنيّة، هل نحسبها إضافات من قبل المترجم الأرمنيّ، أم مقاطع أوّلانيّة حُذفت في وقت من الأوقات من تقليد المخطوطات اليونانيّة؟ يدلّ تحليل هذه المقتطفات على تماسكها الكامل مع بقيّة الكتاب على مستوى اللغة، كما على مستوى البنية والمضمون. فإذا كانت هذه الفرضيّة صحيحة، نستطيع أن نظنّ أن النسّاخ اليونان أحسّوا بالحاجة أن يستبعدوا من نص «استشهاد اندراوس» هذه المقتطفات التي يمكن أن تفسّر هرطوقيًّا، لا سيّما بعد حكم دارسي الهرطقات، على التعفّفية، في القرن الرابع. نستطيع أن نتكلّم على اقتطاع من النصّ اليونانيّ أملته أسبابٌ عقائديّة. إذن، يدلّ مثَل «استشهاد اندراوس» بشكل واضح، كيف أن تاريخ انتشار الأدب المنحول وتقبّله، لم يكن هو هو في كل الجماعات المسيحيّة القديمة. فدراسة مثل هذا الأدب تقودنا للتعرّف إلى مختلف وجهات العالم المسيحيّ القديم، الذي لم يكن واقعًا واحدًا في شكل واحد.

٤- المراسلة بين بولس والكورنثيين

لم يعرف تثبيت القانون، أو لائحة الاسفار المقدّسة، ذات المسيرة في الشرق وفي الغرب. من هذا القبيل، نشير إلى شهادة خاصة لنصّ أرمني منحول آخر هو: **المراسلة المنحولة بين بولس والكورنثيين.** دوّن أصلاً في اليونانيّة في القرن الثاني. لا نستطيع أن نسمّي هذه «المراسلة» منحولة في كل معنى الكلمة. فرسالة بولس الثالثة إلى الكورنثيين التي سبقتها الأولى والثانية اللتان هما رسالتان قانونيّتان، وسبقها قسمٌ إخباريّ قصير يشرح الأسباب التي كانت السبب في تبادل هذه الرسائل، قد أدرجها الأرمن في كتابهم المقدّس بتأثير من الكنيسة السريانيّة التي اعتبرت، في وقت أوّل، هذه المراسلة قانونيّة.

أما النصّ الأرمني فنُقل عن النصّ السريانيّ الذي نُقل بدوره عن النصّ اليوناني. وإدخال «المراسلة» في القانون الأرمنيّ، جاء بنتائج هامة على مستوى تاريخ نقل النصّ. فمنذ سنة ١٩٥٩ عرفنا الشاهد الوحيد المباشر للأصل اليوناني[٢]. إذا كان الشاهد اليونانيّ واحدًا، فلائحة المخطوطات الأرمنيّة تتيح لنا مع ذلك أن نجد ما يقارب تسعين مخطوطًا بيبليًّا.

٥- أعمال تقلا

أما أحد الأمثلة الهامّة التي تدلّ على نجاح كبير لاقاه الأدب المسيحيّ المنحول في أرمينيا، فنجده في خبر تقلا: كانت قديسة من أيقونيوم، في تركيا. نعمت بإكرام كبير في سلوقية، ولا سيّما في القرنين الرابع والخامس. وتوزّعت الشهادات الأدبيّة الأرمنيّة حول هذه القديسة، في حقبة تمتدّ من العصر الذهبيّ للأدب الأرمنيّ حتّى العصر الوسيط. ويدلّنا تحليلُ هذه الشهادات على أسلوب تستبعد به الجماعة استعمال نصّ من النصوص. وهذا ما أتاح للأرمن أن «يمتلكوا» قدّيسة كانت في الأصل غريبة عنهم كل الغربة.

نذكر هنا أن تقلا كانت في الأصل الشخص الرئيسيّ في جزء من «أعمال بولس» دوّنت في اليونانيّة، في القرن الثاني. وما عتّم هذا الجزء ان انفصل عن رواية طويلة عن بولس، فصار مقالاً مستقلاً. في هذا الشكل، نُقلت «أعمال تقلا» من اليونانيّة إلى السريانيّة. فعرفها الأرمن، لا في الأصل اليونانيّ، بل في النسخة السريانيّة التي نقلوها نقلاً أمينًا، في النصف الأوّل من القرن الخامس. إذن، ظهرت هذه القديسة، للمرّة الأولى، في أرمينيا، في اتّصال بين المسيحيّة السريانيّة والمسيحيّة الأرمنيّة. ونجد أيضًا في القرن الخامس شخص تقلا في مؤلّف فاوستوس البيزنطيّ الذي ذكرناه أكثر من مرّة. في هذا الكتاب تلعب تقلا دورًا رئيسيًّا كشفيعة الارثوذكسيّة المسيحيّة، في جزء يصوّر صراعًا مسيحيًّا يتواجه فيه الامبراطور «التعيس» والهرطوقي وَالأَنْس[٣]، مضطهد المسيحيّين الارثوذكسيين، وبطل أرمينيا، البطريرك نرسيس، البطل الحقيقيّ في الارثوذكسيّة النيقويّة، والمدافع العنيد عن وحدة الجوهر الكاملة لدى أقانيم الثالوث الثلاثة. وعبْر عدد من التلميحات الدقيقة، بدا فاوستوس وكأنّه يريد أن يقرّب تقلا من صورة دينيّة كبيرة أخرى، في مجمع الآلهة الوثنيّة في أرمينيا، هي الإلهة أناحيت التي هي من أصل إيراني، والتي أحبّها الأرمن حبًّا خاصًّا، فظلّت عبادتها حيّة، في زمن فاوستوس، وفي المنطقة التي جاء منها، أي تارون. إذا كانت هذه الفرضيّة صحيحة، يحقّ لنا أن نظنّ أن هذه الإلهة المفضّلة لدى الأرمن الوثنيين، هيّأت الطريق لدخول تقلا إلى العالم الديني في أرمينيا المسيحيّة.

في الحقبة البيزنطيّة، اغتنى خبرُ تقلا الأرمنيّ بفصل جديد. فقد يكون الأرمن نقلوا «معجزات تقلا» اليونانيّة التي تورد حلقتين من المعجزات أجرتها القدّيسة في منطقة سلوقية. إذن، يحتلّ هذان النصّان المترجمان مرحلتين في مسيرة تكوّنت فيها رواية تقلا الأدبيّة. واغتنت في حقبات مختلفة من تاريخ أرمينيا الدينيّ، وذلك بفضل اتصالات حضاريّة ودينيّة مع وسطين مختلفين، الوسط السريانيّ والوسط اليونانيّ. ولكن هاتين القطعتين عملتا أيضًا على توسيع وتغذية إكرام القدّيسة في أرمينيا. فالنسخة المختصرة «لأعمال تقلا» و«معجزات تقلا» أُدرجت فيما بعد في حاشية حول قدّيسة «السنكسار[٤] الأرمني» (٢٤ أيلول). فدخول تقلا في السنكسار والليتورجيا الارمنيّة، يمكن أن يعتبرَ كفصل تبنّت فيه الكنيسة الأرمنيّة الرسميّة هذه القدّيسة، التي كانت في البداية غريبة عن أرمينيا.

لا نستطيع هنا أن نطيل الكلام على تطوّر رواية تقلا الأرمنيّة في القرون الوسطى، ولكننا نذكر فقط، في القرن الرابع عشر، الأرمن الذين تبنّوا هذه

٢- *Bibliothèque Bodmeriana de Cologne*, n°10

٣- Valens

٤- «سنكسار» (Synaxare) ، هو كتاب يورد حياة القدّيسين.

القدّيسة الغريبة، وعملوا على بناء مرحلة جديدة في إكرام تقلا والتقليد الأدبي الذي خرج من حدود بلادهم. ففي القرن الرابع عشر، خرجت رواية تقلا الأرمنيّة وذخيرة تقلا من أرمينيا فوصلت إلى الغرب. في تلك الحقبة «صدّر» الأرمن رواية تقلا إلى كاتالونيا، في إسبانيا، فرافق نصّ جديد هذه الطريق الجديدة، هو نصّ لاتيني تعرّفنا إليه على أنّه ترجمة «أعمال تقلا» و«معجزات تقلا» في الأرمنيّة. تمّت الترجمة بأمر من الملك الأرمني أوخين (١٣٠٨–١٣٢٠) من أجل أهل كاتالونيا. وتضمّنت نهاية النصّ قسمًا جديدًا، دوّنه الأرمن، فروى الظروف العجائبيّة لاكتشاف ذراع تقلا اليسرى، وأغنى إكرام القدّيسة بعنصر كان غائبًا في ما مضى، هو إكرام ذخائر القدّيسين.

٦– نصوص منحولة أخرى

لا نريد أن نتوقّف عند لائحة كاملة لمختلف النصوص المنحولة التي دُوّنت في الأرمنيّة، أو نقلت من إحدى اللغات. ولكن نذكر أن الأرمن اهتمّوا اهتمامًا خاصًا بالنصوص حول طفولة يسوع. تَمّ البرهانُ على أنه وجدت ترجمتان مستقلّتان «لانجيل يعقوب»[٥]، دُوّنتا في حقبتين مختلفتين. ثمّ، في العصر الوسيط، دوّن الأرمنُ على أساس إنجيل سريانيّ على ما يبدو «إنجيل الطفولة» الذي يتطرّق إلى الموضوع عينه.

والكتابات عن الرسل ولا سيّما أخبار «استشهادهم»، نعمت بنجاح خاص: استشهاد فيلبس، استشهاد بولس، استشهاد توما، استشهاد بطرس، استشهاد متّى، أعمال أندراوس ومتّى في أرض أكلة لحوم البشر، أعمال يوحنّا حسب بروفوروس... ونقول الشيء عينه عن نصوص حول العذراء مريم: انتقال مريم، رقاد أم الله، رؤيا أم الله؛ وحول بيلاطس: أعمال بيلاطس، أو إنجيل نيقوديمس، رسالة بيلاطس. هذه المؤلّفات المسيحيّة المنحولة وُجدت مرارًا في شكل موجز، في السنكسار، فدخلت في ليتورجيّة كنيسة أرمينيا، فغذّت، خلال أجيال، العاطفة الدينيّة الأرمنيّة.

خاتمة

في الختام، نذكر أن منحولات العهد القديم وجدت أيضًا حيّزًا هامًا في الأدب الأرمني القديم. فبين نصوص عديدة تُرجمت أو نقلت إلى الأرمنيّة، نذكر على سبيل المثال دورة آدم وحوّاء التي شكّلت ينبوعًا لا ينفد من اكتشافات متواصلة، تضمّنت الـ«كودكسات» (Codex) والنصوص. ونقول الشيء عينه عن الآباء أو الأنبياء: خبر أحيقار، خبر يوسف وأسنات. ونذكر أيضًا أن البيبليا الأرمنيّة تضمّنت سفر المكابيين الثالث، الذي اعتُبر سفرًا من الأسفار القانونيّة الثانية، وأن مخطوطات العهد القديم الأرمنيّة القديمة تضمّنت بعض المرّات نصوصًا اعتبرت منحولة مثل رؤيا عزرا (أو ٤ عزرا)، ووصيّات الآباء الاثني عشر. كل هذا يضاف إلى رسالة بولس الثالثة إلى كورنتوس، فيشكّل شهادة لاحقة لواقع يقول إن القانون البيبليّ لم يكن نتيجة مسيرة واحدة في كل الشرق والغرب المسيحيَّين، بل تبع طرقًا مختلفة حسب الأماكن الجغرافيّة والحقبات التاريخيّة. هذا يكفي لكي يبيّن أهميّة دراسة تاريخ مختلف الجماعات المسيحيّة القديمة، ولا سيّما تاريخ الجماعات الشرقيّة، لكي نصل قدر الإمكان إلى معرفة هذا العالم المتشعّب والمتنوّع الأشكال الذي كان عالم الشرق القديم. والحاجة ماسّة إلى الأدب الأرمنيّ، لأنّه حلقة لا غِنى عنها في سلسلة من الآداب القديمة التي تُتيح لنا أن نكوّن صورة شبه متكاملة عن الكنيسة الأول منذ البداية حتّى القرن العاشر المسيحيّ.

مراجع:

CALZOLARI BOUVIER, V. KAESTLI, J. D. - OUTTIER, B. (éditeurs), *Apocryphe arménien*. Traduction, création, transmission, iconographie (Actes du colloque international sur la littérature apocryphe en langue arménienne, Université de Genève, 18-20 Septembre, 1997, Lausanne, 1999).

VOICU, S, «Gli apocrifi armeni», *Augustinianum* 23 (1983) 161-180.

VAN ESBROECK, M., «Le roi Sanatronk et l'Apôtre Thaddée», *Revue des Études Arméniennes* 9 (1973) 270-278.

CALZOLARI, V. «Réécriture des textes apocryphes en arménien», *Aprocryphe* 8 (1997) 161-178.

LELOIR, L, «Les Actes apocryphes d'André», dans A. VAN TONGERLOO - S. GIVERSUS (éditeurs), *Manichaica Selecta*, (Louvain, 1991) 191-201.

STONÉ, M. E., *Selected Studies in Pscudepigrapha and Aposcrypha with Special References to the Armenian Tradition, Eve* (Studies in Veteris Testamenti Psudepigraphae 9, Leiden, 1991).

Id, *Armenian Apocrypha Relating to Adam and Eve* (Studies in Veteris Testamenti Psudepigraphae, Leiden, 1996).

LIPSCOMB, W. L., *The Armenian Apcryphal Adam Literature* (University of Pennsylvania, Armenian Texts and Studies 8, 1990).

VAN ESBROECK, M., «La naissance du culte de saint Barthélélmy en Arménie», *Revue des Études Arméniennes* 17 (1983) 171-195.

LELOIR, L., «La version arménienne de la Passion d'André», *Handes Amsorya* 41 (1976) 471-492.

٥– *Protévangile de Jacques*

الألفباء الأرمنيّة:

أوجدتها الحاجة إلى كتابة الكتاب المقدّس في الأرمنيّة

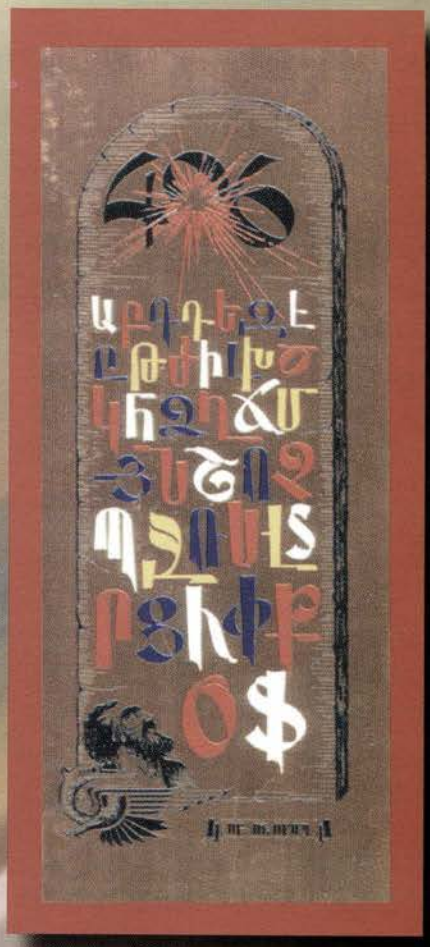

رسالة بولس الثالثة إلى القورنثيّين• منحول في الأرمنيّة

أ. أيّوب شهوان

١) مقدمة

تتضمن لائحة كتب العهد الجديد المنحولة رسائل منسوبة إلى القديس بولس، تعبّر، كغيرها من المنحولات، عن رأي أو فكرة أو عقيدة لا تخلو من الجدية والعمق والإفادة، حتى ولو لم تكن، لسبب أو آخر، جزءاً من قانون العهد الجديد.

٣ قور هي جزء من رسائل بولس المنحولة، وهي التالية:

- الرسالة الثالثة الى القورنثيين؛
- الرسالة الى اللاذقيين؛
- المراسلة بين بولس وسينيكا الفيلسوف الروماني[١].

نحن هنا بصدد دراسة ٣ قور التي حفظها لنا بنوع خاص التقليد الأرمني، الأمر الذي سنركز عليه في بحثنا، كون هذا العدد من مجلة بيبليا مكرّس لموضوع «البيبليا والكنيسة الأرمنية»، التي تحتفل، ومعها الكنيسة الجامعة، بذكرى مرور ١٧٠٠ على اعتناق أرمينيا الإيمان المسيحي.

٢) مراسلة بولس والقورنثيين

توجد مراسلة القورنثيين مع بولس في كل نسخ البيبليا الأرمنية المخطوطة تقريباً، وتقع، في معظمها، في في نهاية رسائل بولس، وفي بعضها مباشرة بعد ٢ قور[٢]، وهذا هو المكان الذي تحتله في الترجمة الأرمنية لتفاسير مار أفرام للعهد الجديد[٣]. إذا كان هناك من جدل حول أصالة هذا الجزء من تفاسير أفرام[٤]، فلا اعتراض، بالمقابل، على أن نص ٣ قور الذي يَرِدُ جزئياً في التفسير، يبدو أقدم من المخطوطات البيبلية. بالرغم من الاعتبار الكبير الذي محضه أفرام، أميرُ المفسّرين السريان، لـ ٣ قور المنحول، فإنه لم يوجد حتى الآن أيُّ استشهاد من هذه الوثيقة في المؤلفات السريانية[٥]، وقليلٌ جداً في الأدب الأرمني[٦].

• رج شديد، اسكندر (ترجمة)، **الأعمال والرسائل المنحولة** (تقديم ومراجعة أ. جوزف قزّي – أ. الياس خليفة. سلسلة الكنيسة في الشرق، ٩؛ دير سيّدة النصر نسيبه – غوسطا، لبنان، ١٩٩٩).

S. B., "Correspondance apocryphe de Saint Paul et des Corinthiens. Ancienne version latine et traduction du texte arménien", *Revue de Théologie et de Philosophie*, t. XXIII, pp. 5-15; texte latin, pp. 15-18; traduction française, pp. 19ss.

ملاحظة: بسبب قلّة المراجع والأبحاث حول ٣ قور، أدرجنا قسماً ممّا وجدناه في هذا المجال في بعض المقالات أو الكتب (كما في الملاحظات المدرجة أدناه، الأرقام ٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ٩، ١٣، و١٤) ولو قديماً جدّاً ومن مؤلّفات يصعب الرجوع إليها لندرتها أو نفادها، وذلك تعميماً للفائدة، ولإعطاء فكرة عن سير الجهود لكشف اللثام عن مراسلة بولس والقورنثيّين.

١– الفغالي، الخوري بولس، **المدخل إلى الكتاب المقدّس**، الجزء الأوّل: التوراة وعالم الشرق القديم (سلسلة المجموعة الكتابيّة، رقم ١، المطبعة البولسيّة، لبنان، ١٩٩٤) ٧٣–٧٥؛ شديد، المرجع نفسه.

٢– رج: Zohrab, Préface de l'Appendice à la Bible arménienne de Venise, 1805

٣– *Œuvres de S. Ephrem* (traduction arménienne ancienne), Venise, 1836

٤– يبدو أنّ التفسير قد حُرِّرَ انطلاقاً من النص الأرمني. لا وجود له في مخطوط تفسير رسائل بولس، المحفوظ في المكتبة البطريركيّة في أتشمياتزين.

٥– استشهاد أفراهاط الذي يذكره تُسَان (Zahn)، هو، أقل ما يقال أنّه مشكوك في أمره. رج:
Zahn, *Geschichte des neutestamentlichen Kanons*, 2/2 (Leipzig 1892) 1, p. 561.

٦– رِنْك، أو بالأحرى پ.پ. أُوشِر، لم يجد سوى ٣ استشهادات تتعلّق بذات الآية من ٣ قور (آ ١١). رج: Rinck, *Sendschreiben u.s.w.*, p. 14

لدينا معلومات واضحة حول لائحة الكتب المقدسة؛ فلقد ضمّن مخيتار الأرمني الذي من أَيْرِيفَنْك (أواخر القرن الثالث عشر)، في مؤلَّفِه نوعاً من القانون البيبلي، استناداً إلى يوحنا الشمّاس، الذي عاش في أواخر القرن الحادي عشر[٧]، وفق الترتيب التالي:

- أربعة إنجيليين: يوحنا، متّى، مرقس، لوقا؛
- أعمال الرسل؛
- الرسائل الكاثوليكية: يعقوب، ١ و٢ بطرس، ١ و٢ و٣ يوحنا، يهوذا، رؤيا؛
- رسائل بولس: ١ و٢ تسالونيقيين، ١ و٢ و٣ قورنثيين، رومانيين، عبرانيين، ١ تيموتاوس، تيطس، غلاطيين، أفسسيين، فيلمون، قولسيين، فيليبيين، ٢ تيموتاوس.

مباشرة بعد ذلك، يعطي مخيتار المذكور بالذات ترتيباً آخر لرسائل بولس «وفق لائحة وجدها إقليمنضوس»[٨]، هي التالية: رومانيين، ١ و٢ و٣ قورنثيين، غلاطيين، أفسسيين، فيليبيين، قولسيين، ١ و٢ تسالونيقيين، عبرانيين، ١ و٢ تيموتاوس، تيطس، فيلمون.

لدينا إذاً لائحتان لكتب العهد الجديد القانونية، تَرِد فيها ٣ قور بذات المقام الذي للكتب الأخرى، وإلى جانب الرسالتين الأصيلتين ١ و٢ قور. هذا دليل واضح على مدى المكانة التي كانت ٣ قور تنعم بها في عصر معيّن في الكنيسة الأرمنية.

لم تُعرَف ٣ قور وتُذكَر في أوروبا وللمرة الأولى سوى في أواسط القرن السابع عشر. فلقد ذكر المطران أُوشر (Usher)، سنة ١٦٤٤، مخطوطاً أرمنياً نُسِخ في سْمِيرْنَا (Smyrne)، يحتوي، مع ترجمة إيطالية، على مراسلة القديس بولس والقورنثيين. لكن هذا المخطوط غير كامل؛ فهو لا يتضمن الجزء التاريخي الذي يفصل بين الرسالتين، ولا يخبر متى وفي أي ظروف تلقّى بولس رسالة القورنثيين وحرر جوابه لهم. إضافة إلى ذلك، رسالة بولس هي مقتصرة فيه على عشر آيات فقط من أصل أربعين.

في سنة ١٧٢٧، نشر لاكروز (La Croze) مخطوطاً آخَر، كامل هذه المرة، ولكنه غير سليم، جلبه من حلب غِليوم وِيسْتُون (Guillaume Whiston) وأرسله إلى لاكروز لتكون له ترجمة جديدة. كان لاكروز هذا قد أعاد تاريخ وضع ٣ قور إلى القرن الحادي عشر، ولكنه غيّر رأيه عندما درس المخطوط الجديد، وأعلن أننا أمام نص من كتاب أعمال القديس بولس، وهو المنحول الذي كان ضائعاً منذ زمن بعيد.

لاحقاً، قام الأب زهراب، وهو مخيتاري من دير القديس لعازر في البندقية، بطباعة نص نقدي لنص الرسائل، بعد نشره البيبليا الأرمنية سنة ١٨٠٥. بالرغم من بعض النواقص من حيث عدم تحديد مخطوط كلٍّ من البدائل التي أبرزها، يبقى نص زهراب أصح ممّا سبقه، ويُفَضَّل حتى الآن استعمَاله دون سواه في كل بحث حول ٣ قور[٩].

٣) النص[١٠]

١/٣ – رسالة الكورنثيين الى بولس

من أغناطيوس والكهنة الذين معه، نيميسوس، أوبالوس، تيوفيلوس، ونومِسون، إلى الأخ بولس، سلام.

إن رجلين، يُدعيان سمعان وإلوبيوس، جاءَا إلى قورنثية، وهما يعكّران ببراعةٍ الإيمان بأقوال مقنعة ومُفسدة، يجب أن تُجيب عليها، لأننا لم نسمع أقوالاً مماثلة منك، وأقل بكثير من الرسل الآخرين. إننا لا نعلم إلا ما سمعناه منك ومن الآخرين (الرسل)، ونتقيّد به بأمانة. إنما، في هذا الصدد، أشفق اللّه علينا، بما أنك لا تزال بالجسد معنا. إننا نريد أن نسمعك مرّة أخرى. أُكتُب الينا سريعاً الحقيقة، أو تعال شخصيّاً لزيارتنا. إنّنا نؤمن بالربّ، وبأنه سوف يظهر، وبأنّه سوف يُنقذنا من الشيطان.

٧– Brosset, *Hisoire chronologique de Mekhitar d'Aïrivank,* traduit de l'arménien. Saint-Pétersbourg, 1869, p. 23 (dans les *Mémoires de l'Académie Impériale des Sciences de Saint-Pétersbourg,* 7e série, t. XIII, n.5).

٨– إقليمنضوس هذا الذي يُدْرِجُهُ مخيتار على لائحةٍ أخرى على أنّه واضع منحولٍ اسمه «أية كتب يجب أن تُقبَل؟»، هو على الأرجح، في تفكير مخيتار، إقليمنضوس الإسكندري.

٩– استُعيدَ نص زهراب، مع تعديلات طفيفة، في طبعَتَي القواعد الأرمنيّة الإنجليزيّة الذي وضعه باسكال أُوتشر:
Pascal Aucher, *A Grammar Armenian and English,* Venise, 1819 and 1832.

١٠– النص هو من ترجمة اسكندر شديد، **الأعمال**...، ص ٢٠٧–٢٠٨.

إنّ أقوال هذين الرجلين خاطئة، لأنهما يقولان إن قراءة الأنبياء ليست واجباً، ويقولان إنّ اللّه ليس كلي القدرة، وينكران قيامة الجسد، ولا يقولان إن الانسان خليقة اللّه، وينُكران أنّ يسوع المسيح ولدته العذراء مريم بالجسد، ولا يقولان إن العالم صنيعة اللّه، بل ملائكة ما. هكذا، أيّها الأخ، أُكتب الينا سريعاً أو تعال زرنا، لتظلّ كنيسة قورنثية منزّهة عن العار، ويُشاع جهل هذين الرجلين أمام الجميع لخزيهما العظيم.

٢/٣ – رسالة بولس الى القورنثيين

من بولس، المُكبّل في سبيل يسوع المسيح، والتائه بسبب جروحه المتواصلة، إلى إخوة قورنثية، سلام.

إنّني لا أدهش أن يسير رسل الشرّ بهذه السرعة، لكنّ الربّ سيضربهم عند مجيئه، لأنهم يُفسدون أوامره وقلّما يقدّرونها. لقد علّمتكم منذ البداية ما تعلّمته من الرسل الذين كانوا يسيرون دوماً مع الربّ.

والآن أقول لكم: إنّ الرب وُلد من العذراء مريم التي من نسل داود، كما بشّر بذلك الروح القدس. لقد أرسله إليها الآب من السماء، ليتّحد يسوع بالعالم، ويخلّص كلّ جسد بجسده، ويقيمنا من بين الأموات. ولقد أبان شخصه ليكون ثمة مثال ظاهر على أن الانسان خلقه الآب، وأن الانسان لم يُترك في هلاكه، بل ابتُغي، ليبقى في الحياة بيد التبنّي، لأنّ اللّه الذي هو أبو ربنا يسوع المسيح، والذي يسود في كلّ الأمور، أرسل أوّلاً إلى اليهود أنبياء ليكفّوا عن الخطيئة، ويدخلوا عدل مَن كان يريد تخليص بيت إسرائيل؛ وأعطى الرسل الروح القدس، ليبشّروا بعبادة اللّه ومولده في هذا العالم.

٤) ٣ قور سريانية فأرمنية؟

إنّه لمثير للاهتمام دائماً أنّ نجد منحولاً ما لبولس الرسول. فالنصّ الذي سنعرّف به يسلّط ضوءاً جديداً على وثيقة مثيرة للفضول لم تُدرَس إلاّ قليلاً حتى الآن، ولكن هناك أبحاث حديثة حولها، يقوم بها اللاّهوتيّون والمستشرقون، عنيت بها رسالة القدّيس بولس الثالثة إلى القورنثيّين، أو بالأحرى مراسلة القورنثيّين وبولس المنحولة – إذ هناك رسالتان، واحدة من القورنثيّين إلى بولس، وجواب بولس إلى هؤلاء – التي نُقلت إلينا في ترجمة أرمنيّة. ولأنّ هذا النص، بدايةً، لم يكن يوجد إلاّ في الأرمنيّة، ولأنّ الكتّاب الكنسيّين اليونان واللاّتين لَم يذكروه إطلاقاً، فإنّ هناك ميلاً لأن نرى فيه نتاجاً مسيحيّاً شرقيّاً، أي مؤلّفاً وُضع على الأرجح في اللّغة السريانيّة أساساً، بهدف محاربة هرطقة ما سوريّة أو من بلاد ما بين النهرين. إنّ اكتشاف ترجمة لاتينيّة قديمة جدّاً، نُقِلَت بالتأكيد عن نصّ يوناني، لقادر أن يبدّل إلى حدٍّ ما بعض معطيات هذه المسألة.

لرسالة بولس الثالثة إلى القورنثيين طعمٌ مختلف عن سائر منحولات العهد الجديد، بسبب الفضول العلمي الذي ما زالت تثيره لدى علماء الكتاب المقدس الباحثين عن رسالة ثالثة إلى القورنثيين ما زالت مفقودة، من جهة، وبسبب مضمون هذا المؤلّف المنحول، من جهة ثانية.

٥) رسالة قورنتس الثالثة[١١]

رسالة بولس الثالثة إلى القورنثيين هي إذاً واحدة مّن «الرسائل المنحولة» التي تشكّل الجزء الثاني من مراسلة منحولة بين بولس والقورنثيّين، نجدها في كتاب أعمال بولس، وهي محفوظة في عدّة تقاليد مدوّنة ذات نوعيّة مختلفة :

- في الأرمنيّة، في مخطوطات عدّة للعهد الجديد؛
- في خمسة أجزاء من مخطوطات لاتينيّة؛
- في ترجمة قبطيّة من القرن السادس لكتاب أعمال بولس؛
- في اليونانيّة، في بردي بُوْدمِر (Bodmer)، الذي من القرن الثالث؛
- وفي تفسير مار افرام السرياني لرسائل بولس[١٢].

تمّ تحقيق أكثر من ترجمة إنجليزيّة لهذه المراسلة[١٣].

١/٥ – أصيلة أم منحولة؟

تَعتبر الكنيستان السريانيّة والأرمنيّة قورنتس الثالثة أصيلة، وتُدخلها ضمن رسائل بولس، ومع هذا فقد تمّ تناقل هذه الرسالة بشكل مستقلّ، وكانت إلى حدّ كبير ذات شعبيّة بين بعض فئات المسيحيّين الأُوَل، إلى حدّ اقتراح

١١ – Dana Andrew Thomasan, "Third Epistle to the Corinthians", *The Anchor Bible Dictionary*, vol. 1, A-C (Doubleday, New York 1992) 1154

١٢ – Klijn A. F. J., "The Apocryphal Correspondence Between Paul and the Corinthians", *VC* (1963) 2-23

١٣ – James M. R., *The Apocryphal New Testament* (Oxford 1924)

البعض[١٤] أنّها كانت جزءاً من كتاب أعمال بولس، وهذا ما أثبته اكتشافُ المخطوطِ القبطي، الذي يُدعَى مخطوط هَيْدِلْبِرغ (Heidelberg)، سنة ١٨٤٩. وقد بيّن النصُ القبطي أيضاً أنّ المراسلة التي نحن بصددها كانت مكتوبةً في الأساس في اليونانيّة، وهذا ما تمّ التحقّق منه لاحقاً من خلال اكتشاف النص اليوناني الذي نُشر سنة ١٩٥٩[١٥].

٢/٥ – كاتب ٣ قور وتاريخها

وفي حين أنّ هناك الآن شبه تأكيد أنّ ٣ قور هي جزء من كتاب أعمال بولس، تختلف الآراء بالمقابل حول ما إذا كان الكاتب قد وضع هو بالذات المراسلة بين بولس والقورنثيّين، أم أنّه استند إلى مؤلَّفٍ ما كان موجوداً قبله[١٦].

إنّ تحديد هويّة كاتب ٣ قور، ومكان وضعها، وتاريخها، هي أمور معقّدة نظراً لارتباطها بكتاب أعمال بولس. يقول ترتليانوس[١٧] إنّ واضِع أعمال بولس هو شماس (presbytre) في آسيا الصغرى، وإنّ المؤلَّف بالذات يشير إلى أنّه قد كُتب على الأرجح في آسيا الصغرى. إنّ الفترة الممتدة ما بين العامين ١٧٠ و١٩٥ هي المقترحة كتاريخ لتأليف أعمال بولس[١٨]. تعود ٣ قور إلى هذا التاريخ؛ أما إذا كان كاتب أعمال بولس قد استعمل مؤلَّفاً أقدم من ذلك، فيصعب عندها أن نحدّد تاريخها ومكان تأليفها، أو هويّة كاتبها.

٣/٥ – مضمون رسالة القورنثيين إلى بولس

تُدْرَجُ ٣ قور ضمن مرحلة فيليبي من أعمال بولس، وتشكّل جزءاً من مراسلة بين بولس والقورنثيين.

لقد كتب القورنثيّون أوّلاً إلى بولس يخبرونه عن رجلين، يُدْعَيان سمعان وكليوبيوس، وصلاَ إلى قورنتس، وخرّبا إيمان أهلها بتعليمهما أموراً لم يكونوا قد سمعوا بها من بولس أو من الرسل الآخرين. فلقد علّمَا أنّه لا ينبغي على القورنثيّين أن «يعودوا إلى الأنبياء، وأنّ اللّه ليس كلّيّ القدرة، وأن لا قيامة للجسد، وأنّ خلق الانسان ليس من [عمل] اللّه، وأنّ الربّ لم يأتِ بالجسد، ولا وُلد من مريم، وأنّ العالم ليس من اللّه، بل من الملائكة».

سلّم تْرِيْتوس وأُوتِيخوس الرسالة إلى بولس، وهو في سجن فيليبي. ٣ قور هي جواب بولس على طلب القورنثيّين، إمّا بأن يزورهم، وإمّا بأن يكتب إليهم حول هذه التعاليم.

٤/٥ – مضمون ٣ قور

تبدأ ٣ قور بتحيّة نموذجيّة عند بولس، يتبعها إقرار بأنّ ضيقه الشخصي هو علامة أنّ تعاليم الشرّير تنتشر. يؤكّد الرسول إذاً للقورنثيّين أنّه سبق وعلّمهم ما تلقّاه من الرسل. يلي ذلك دحضُ تعاليمِ سمعان وكليوبيوس، الذي يشكل نقطة الثقل في الرسالة، ثم تطمينه للذين يقبلون تعاليمه، وشجبه للذين يرفضونه. تنتهي الرسالة بحثّ لهم على أن يبتعدوا عن التعاليم الخاطئة، وببركةِ سلامٍ ونعمةٍ ومحبّة.

٦) باختصار

إن رسالة ٣ قور هي، في الأصل، جزء مكمّل لكتاب «أعمال بولس». عُثر حديثاً على نص يوناني منها يعود إلى القرن الثالث م.، في ما كانت ترجمتها إلى الأرمنيّة، والسريانيّة واللاتينيّة متوافرة منذ زمن طويل. اعتبرتها الكنيستان السريانيّة والأرمنيّة شرعية خلال قرون طويلة. أما محتواها فهو مرافعة مهمّة ضد الغنوصيّة، وتشهّر بسمعان وإلوبيوس وبتعليمهما المناهض لتعليم بولس.

١٤ – Zahn T., *Geschihte des neuetestamentlichen Kanons 2/2* (Leipzig 1892). Enslin IDB, 679; *NTApocr* 2:326; Klijn A. F. J., "The Apocryphal Correspondance Between Paul and the Corinthias", *VC* (1963) 2-5.

١٥ – Klijn A. F. J., "The Apocryphal...", p. 5.

١٦ – Klijn A. F. J., "The Apocryphal...", pp. 10-16.

١٧ – في العماد، ١٧، وهي تقريباً من حوالي العام ٢٠٠.

١٨ – Klijn A. F. J., "The Apocryphal...", p. 4.

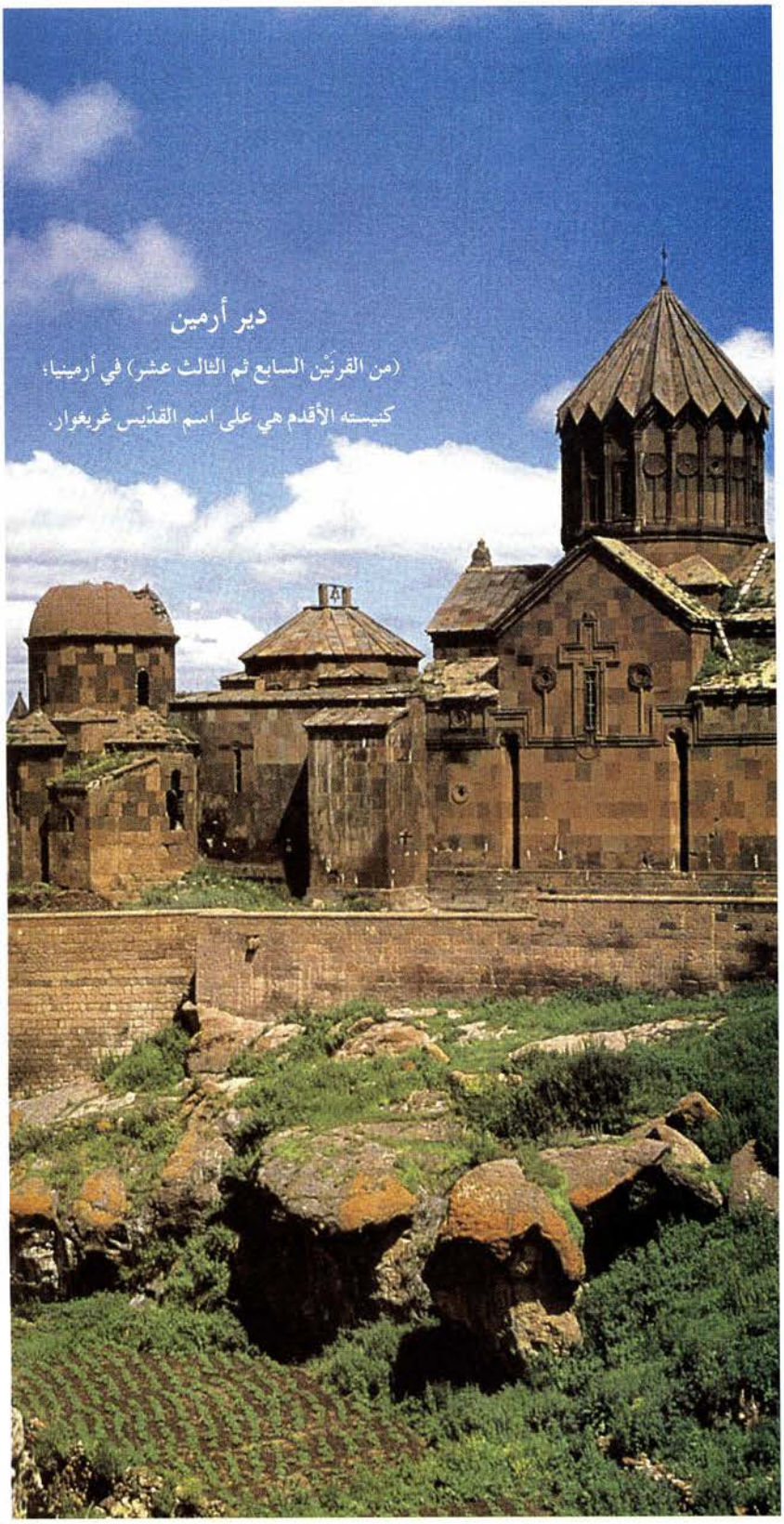

دير أرمين

(من القرنَيْن السابع ثم الثالث عشر) في أرمينيا؛ كنيسته الأقدم هي على اسم القدّيس غريغوار.

مراجع:

شديد، اسكندر (ترجمة)، **الأعمال والرسائل المنحولة** (تقديم ومراجعة أ. جوزف قزّي – أ. الياس خليفة. سلسلة الكنيسة في الشرق، ٩؛ دير سيّدة النصر نسبيه – غوسطا ١٩٩٩).

الفغالي، الخوري بولس، **المدخل إلى الكتاب المقدّس**، الجزء الأوّل: التوراة وعالم الشرق القديم (سلسلة المجموعة الكتابيّة، رقم ١، المطبعة البولسية، لبنان، ١٩٩٤) ٧٣–٧٥.

Aucher Pascal, *A Grammar Armenian and English* (Venise, 1819 and 1832).

Brosset, *Histoire chronologique de Mekhitar d'Aïrivank*, traduit de l'arménien. Saint-Pétersbourg, 1869, p. 23 (dans les Mémoires de l'Acad´mie Impériale des Sciences de Saint-Pétersbourg, 7e série, t. XIII, n. 5).

"Correspondance Apocryphe de Saint Paul et des Corinthiens", *Acta Pauli*, pp. 19-21; 246-275.

Der Apokryphe Korintherbriefwechsel, Acta Pauli, pp. 125-145.

James M. R., *The Apocryphal New Testament* (Oxford 1924).

Œuvres de S. Ephrem (traduction arménienne ancienne, Venise, 1836).

Rinck, *Sendschreiben u. s. w.*

Klijn A. F. J., "The Apocryphal Correspondence Between Paul and the Corinthians", *VC* (1963) 2-23.

Rodorf Willy, CHERIX Pierre, KASSER Rodorf, "Lettre des Corinthiens", *Ecrits apocryphes chrétiens* (éd. Gallimard, 1997).

S. B., "Correspondance apocryphe de Saint Paul et des Corinthiens. Ancienne version latine et traduction du texte arménien", *Revue de Theéologie et de Philosophie*, t. XXIII, pp. 5ss.

Thomason Dana Andrew, "Third Epistle to the Corinthians", *The Anchor Bible Dictionary*, vol. 1, A-C (Doubleday, NewYork 1992) 1154.

Tertullien, *De Bapt.* 17.

Vetter, *Der apokryphe dritte Korintherbrief* (Tübingen Universitätsfestschrift, 1894).

Zahn T., *Geschihte des neuetestamentlichen Kanons* 2/2 (Leipzig 1892), II, 1.2.

Zohrab, Préface de l'Appendice à la Bible arménienne de Venise (1805).